الرد على د/ مصطفى محمود في إنكار الشفاعة

والرد على لواء/ محمد شبل في إنكار يوم عرفة

تأليف
الأستاذ الدكتور الشيخ أبو محمد
عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

دار الاعتصام

دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ ـ فاكس : ٣٥٤٦٠٣١
ص.ب : ٤٧٠ القاهرة ـ الرمز البريدى ١١٥١١





تقديم

الحمد لله الذى يذكر من ذكره ، ويزيد من شكره ، والصلاة والسلام على نبى الرحمة ، وعلى آله وأصحابه السادة البررة .

أما بعد ...

فإن الهجمة الشرسة على السنة النبوية الشريفة ، والاجتراء على كتاب الله سبحانه وتعالى بتطويع نصوصه لهوى النفس ، أوجبت على جميع علماء الأمة المسلمة أن يتصدَّوا لهذا الاعتداء الآثم ، ليفصحوا للمسلمين عن دين الله فى كتابه المحكم ، وكيف ارتبطت السنة النبوية الشريفة بالقرآن الكريم قولاً وتطبيقاً ، ليكون المنهج واحداً وواضحاً ، لايدع مجالاً لمراء ، ولا لمجادل ، اللهم إلا من فسدت فطرتهم فانحرفوا عن طريق الله المستقيم ، وانحرفت أفكارهم عن منهج الإسلام السديد الرشيد .

ومع ذلك يرى أهل العلم الناصحون أن يأخذوا بأيدى أولئك الشاردين عسى أن تزول الغفلة فيعودوا إلى مصاف أهل الصلاح والإصلاح فى الأرض ، وبخاصة أنه ليس هناك ما يدعو للخلاف حول قضايا حسمها القرآن والسنة .

وهيئة علماء الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية من الهيئات والمؤسسات الإسلامية التى تحمل عبء الدعوة إلى الله – عز وجل – وتتحمل مسئولية الدفاع عن السنة النبوية ؛ لأن الغرض الأسمى من تأسيس الجمعية الشرعية هو الدعَوة إلى الله تعالى ، وإحياء السُنَّة والدفاع عنها ، ومحاربة البدعة .

وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر ، وعضو هيئة علماء الجمعية الشرعية ، قد قام بواجبه الذى يجب أن يستشعره كل عالم مناصر لسنة النبى ﷺ فألف كتاباً خصصه للرد على :

الدكتور / مصطفى محمود .. فى إنكار الشفاعة
واللواء / محمد شبل .. فى إنكار يوم عرفة

وقد اتسم رد الشيخ عليهما بالهدوء ، والموضوعية ، والحوار ، فقد فَنَّدَ أقوالهما وما استشهدا به من نصوص ، ومواطن إنكارهما ، وجاءت ردوده عليهما وعلى كل من نحا نحوهما ، ونهج منهجهما بنصوص صريحة ، وأصَّل كل ما أورده من السُّنة تأصيلاً لا يدع مجالاً للشك والاحتمال ، رابطاً توجيهات السُّنة بمنهج القرآن الكريم .. الأمر الذى يجعلنا نقول : إن توجيهاته التى ساقها فى ضوء نصوص القرآن الكريم ،والسُّنة المطهرة ، قد أبطلت مزاعم منكرى الشفاعة ، ومنكرى أيام الحج التى تـؤدَّى فيها النسك ، وبهذا يكون قد قطع طريق الاحتيال على النصوص الشرعية .

ومع وضوح الرد ، وقطع الطريق إلا أنه لا يزال عناد المجادلين المنكرين قائماً ، وهم بذلك يظنون أنهم سيغلبون ، وهذا وهْمٌ وضلال .. لأن الحق ثابت لا يتغير ، وسيظل الناس يعرفونه وينتفعون به إلى قيام الساعة .. أما الباطل فلابد أن يزهق ويزول ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .
[سورة الأنبياء : ١٨]

وإنَّا لا نملك إلا الدفاع ، وإبطال الافتراءات ، والله من ورائهم محيط ، وهو من وراء القصد ، وهو الهادى إلى الحق .

فجزى الله تعالى الدكتور عبد المهدى عبد القادر خير الجزاء ، ونفع الله به وبكتابه .. ونحن فى انتظار مزيد من الردود على أولئك وأمثالهم من فضيلته ، ومن جميع من يملك حكمة الرد بالقول السديد ، والحجة القاطعة .

وصلى الله تعالى وسلم على نبى الرحمة ، صاحب الحُجة والسُّنة ، وعلى آله وصحبه وسلم .

عن هيئة علماء الجمعية الشرعية
إمام أهل السنة
الرئيس العام للجمعيات الشرعية
أ . د/ فؤاد على مخيمر



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد ..

فلقد نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٩٩/٥/١م ص ٢٦ مقالاً[1] للدكتور مصطفى محمود بعنوان ﴿**وما هم بخارجين من النار**﴾ أنكر فيه الشفاعة وأكد أنه لا شفاعة لرسول الله ﷺ ولا لغيره .

وأكد فيه أنه لن يخرج أحد من النار !!

وطعن فى السُّنة النبوية ، وخص البخارى بالطعن فيه أصرح من غيره .

وفى الشهر الماضى طالعتنا جريدة الأهرام ، ثم جريدة عقيدتى بكلام يدعى كاتبه أن الحج يجوز خلال الأشهر الحرم ، وليس بشرط أن يكون فى التاسع من ذى الحجة ، وهذا الكاتب هو : لواء متقاعد محمد شبل .

وهذان الأمران ، إنكار الشفاعة ، وتوزيع الحج أحزنا كثيراً من الناس ، وطلب بعض الإخوة من العلماء الرد ، ليكون الأمر فى نصابه فاستخرت الله وكتبت هذين الردين ، لإيمانى أن هذه التطاولات ستستمر .

ولقد ركزت على ذكر الدليل ، فإن كان آية قرآنية ذكرت سورتها

(١) هذا المقال مع مقالات أخرى جمعهم وأخرجهم فى كتاب بعنوان « الشفاعة » .

ورقمها فى السورة ، وإن كان حديثاً نبوياً خرجته من كتب السُّنة ، وبينت حاله ، بل وعزوت أقوال الأئمة إلى مصادرها .

ولقد بدأت بالرد ، لأن الأمر شاع ، وأصبحت الحاجة إلى الرد أهم وذكرت المقالين فى نهاية هذا الرد ، ليتمكن القارئ من مراجعة كلام الكاتبين إذا أراد ، وليقرأهما من لم يكن قد قرأهما .

وأسأل الله التوفيق والسداد .

عبد المهدى

أولاً : الرد على الدكتور مصطفى محمود

ينكر الدكتور مصطفى محمود الشفاعة ، ويعتمد فى ذلك على :

١ - الاستدلال من القرآن الكريم بأن من دخل النار لا يخرج منها ، وبالتالى فلا شفاعة ، ولن يخرج أحد من النار لا بشفاعة ولا بغيرها .

وطريقته فى ذلك أنه أخذ الآيات التى فى خلود الكافرين فى النار ، وجعلها على المسلمين ، حتى يثبت أنه لا خروج من النار ، وبالتالى فلا شفاعة ، أما الآيات المثبتة لخروج المسلمين من النار ، وكذلك الأحاديث فتنكر لها .

٢ - الاستدلال بآيات القرآن الكريم الواردة فى نفى الشفاعة للكافرين ، أخذها فاستدل بها على نفى الشفاعة عموماً للمسلمين وللكافرين .

ولما استعصت عليه بعض آيات لم يستطع حملها على نفى الشفاعة تعسف وفسر الشفاعة بأنها البشارة ، وهذا تفسير شخصى منه لا يتفق مع الآيات ولا مع الأحاديث ولا مع اللغة العربية .

٣ - فسر آيات الشفاعة تفسيراً خاطئاً ، ثم راح بناءً على ذلك يخطئ فى حق القرآن الكريم .

٤ - لم يقتصر على موضوع الشفاعة وإنما راح يطعن فى السُّنة النبوية ، وأن أحاديثها مدسوسة ، وأن المسلمين حنطوا أنفسهم فى نصوصها !! وأنهال على العلماء تجريحاً وسبًا .

٥ - فى سبيل نفى الشفاعة استجاز لنفسه الكذب على رسول الله

ﷺ ، فكذب حديثاً عليه ﷺ .

وهذا إجمال يعقبه التفصيل بتوفيق الله تعالى :

١ - ادعاؤه استحالة الخروج من النار :

صدَّر الدكتور مصطفى مقاله بقوله : القرآن ينفى إمكانية خروج من يدخل النار فى الكثير والعديد من آياته .

واستدل على ذلك بأربع آيات :

الآية الأولى : ﴿ **يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وأتساءل معه : من هؤلاء الذين يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ؟ من هؤلاء ؟

وأجيب أنا بأن الآية السابقة على هذه الآية توضح من هم .

يقول الله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُـقُـبِّل منهم ولهم عذاب أليم * يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ [المائدة : ٢٦ ، ٢٧] .

فواضح من الآية أن الذين لا يخرجون من النار إنما هم الكفار ، أما الشفاعة فإنها للمسلمين .

وإنى لأستغرب كثيراً ، فالآية واضحة فى أنها فى الكفار ، ولا تفيد أبداً أن المسلم إذا دخل النار لا يخرج منها ، بل ولا علاقة لها بالمسلم .

أمر محيّر !! كيف يُقتطع كلام من وسط السياق ليؤدى عكس المعنى

الأصلى ؟! وفى كلام الله ! غداً بين يدى الله سنقف للحساب .

الآية الثانية : يقول : ويقول أهل النار فى سورة « المؤمنون » : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ . [المؤمنون : ١٠٧ ، ١٠٨]

وهذه الآية ليست فى المؤمنين ، وإنما هى فى الكافرين ، يوضح هذا الآيات التى قبلها والتى بعدها ، يقول الله تعالى : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا آخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ .

إن المسلمين الذين يرجون رحمة الله ، وشفاعة رسول الله هم أهل الآية الأولى : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾ أما الذين سيقول الله لهم : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ فهم الكفار الذين قال الله لهم - كما فى الآية الرابعة مما ذكرت - ﴿ **ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون** ﴾ هؤلاء الكفار المكذبون بآيات الله هم الذين سيطلبون الخروج من النار ، فيقول الله لهم : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ .

فكيف يصح حمل ما للكفار من العذاب على أنه للمسلمين ؟! والآيات واضحة كل الوضوح فى أن هذا الخلود للكافرين !

الآية الثالثة : يقول الله تعالى : ﴿ **كذلك يريهم اللّه أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ [البقرة : ١٦٧] .

يوهم القارئ أنهم لن يخرجوا من النار ! لكن من هم ؟

إنهم الذين عبدوا غير الله ، إنهم المشركون والكافرون ، تنطق بذلك الآيتان قبل هذه الآية . يقول الله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون اللَّه أندادا يحبونهم كحب اللَّه والذين آمنوا أشد حباً للَّه ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة للَّه جميعا وأن اللَّه شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقالَ الذين اتَّبعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم اللَّه أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ .

[البقرة : ١٦٥ - ١٦٧]

واضح كل الوضوح أن قول الله تعالى : ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ إنما هى فى حق الذين اتخذوا آلهة من دون الله ، جعلوها « نداً » أى معادلا لله ، هؤلاء هم الذين لا يخرجون من النار .

ومن العجيب أنه فى وسط الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث يثنى ربنا على المؤمنين ﴿ **والذين آمنوا أشد حبًا للَّه** ﴾ وبأسلوب رائع قسمت الآية الناس قسمين : أناس يعبدون غير الله ، ومؤمنون كل حبهم لله ، أما الصنف الأول فهم الذين يدخلون النار ولا يخرجون منها .

الكفر سبب كل خسارة ، فمن اتبع ضالاً تبرأ منه يوم القيامة فتمنى التابع أن يعود إلى الدنيا ليبتعد عن المتبوع ، ولكن حلت الخسارة ، ولا رجوع إلى الدنيا ولا خروج لهم من النار .

أما المؤمنون فهم أشد حبًا لله .

الآية الرابعة : من الآيات التى يستدل بها الدكتور مصطفى وغيره على

خلود من يدخل النار فيها ، قول الله تعالى : ﴿ **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار** ﴾ [سورة الزمر : ١٩] ومعنى الآية : من استحق العذاب بسبب كفره فأنت لا تنقذه ، فإن دخول الكافر النار أمر ثابت ، ولا يقبل الشفاعة ، ولا الكلام ، كما قال سبحانه : ﴿ **فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وكما فى قوله تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً** ﴾ [الإسراء : ٩، ١٠] .

وهكذا يتضح أن كل الآيات التى ساقها الدكتور مصطفى مستدلًّا بها على أن من دخل النار سيخلد فيها ، إنما هى آيات فى شأن الكافرين ، فهم الذين سيدخلون جهنم خالدين فيها .

عصاة المسلمين لا يخلدون فى النار :

أما المسلمون ، فمن أصاب ذنباً فأمره إلى الله إن شاء غفر له ، أو شفّع فيه أحداً من خلقه ، أو تركه يأخذ جزاءه ، ثم مصيره إلى الجنة ، ذلك أنه حوى أصل الخير بأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، إنه لا يخلد فى جهنم ، وإنما سيخرج منها بعد فترة طالت أو قصرت ، دل على هذا قول الله تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ [الزلزلة : ٨ ، ٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها** ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

إن المسلم يجزى بمقدار سيئاته ، ولا يخلد فى النار ، وباب الرجاء

مفتوح ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾
[الزمر : ٥٣]

ومعنى ﴿**أسرفوا على أنفسهم**﴾ ارتكبوا بعض الذنوب .

ومعنى ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله**﴾ لا تيأسوا من رحمة الله .

ومعنى الآية : يقول الله يا عبادى - أضافهم إليه تشريفاً لهم فهم المؤمنون - يقول لهم إذا أذنبتم فلا تيأسوا من رحمة الله ، ولكن أحسنوا الظن بالله فهو سبحانه لا يتعاظمه ذنب ، وإنما يغفر ذنوب المسلمين مهما كانت . أما غيرهم فلا ، كما فى قوله سبحانه : ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما**﴾
[النساء : ٤٨]

إننى أتساءل مع الدكتور مصطفى محمود وغيره ممن ينكرون الشفاعة ، هل يتصور أن مسلماً فعل ذنباً ، يدخل النار فيخلد فيها ؟ إذا قلتم يخلد ، فقد سويتم بينه وبين الكافر وهذا يتنافى مع قول الله : ﴿**وما أنا بظلام للعبيد**﴾ [ق : ٢٩] .

إن قولكم بخلود المسلم العاصى فى النار يتنافى مع العدل الإلهى ، ويتنافى مع الآيات السابقة : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره**﴾ ، ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**﴾ ومن هنا فكلامكم غير صحيح .

ولقد جعل الدكتور مصطفى هذه الآيات المفيدة عدم خروج أهل النار منها جعلها مقدمة بنى عليها فقال : إن هذه الثوابت القرآنية تتناقض تماماً

مع مرويات الأحاديث النبوية فى كتب السيرة عن إخراجه لمن يشاء من أمته من النار ، مما يؤكد أن هذه الأحاديث موضوعة ، ولا أساس لها من الصحة ، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى ﷺ ، انتهى كلامه .
وهذا يفيد إنكار الشفاعة ، والطعن فى الأحاديث النبوية .

أقول لك مهلاً ومهلاً ؛ لأكثر من سبب :

الأول : الأساس الذى بنيت عليه كلامك أساس خطأ ، فأنت تبنى على أساس أن الآيات السابقة ، والتى تفيد عدم الخروج من النار هى آيات فى المسلمين ، وليس الأمر كذلك ، فقد بَيَّنْتُ بالآيات السابقة عليها أنها فى الكافرين ، وعليه فلا يصح أن تبنى عليها مرادك من إنكار الشفاعة ، وادعاء تناقضها مع أحاديث الشفاعة .

الثانى : واضح من أسلوبك أنك بعيد عن هذا التخصص ، أعنى تخصص الحديث وعلومه ، فتقول مرويات الأحاديث النبوية فى كتب السيرة ، ومعروف عند عوام المسلمين فضلاً عن المتخصصين أنه للسُّنة كتبها ، وللسيرة كتبها .

وكم عندك من تخليطات مثل ذلك ، إذا اتسع المقام ذكرتها ، لكن أقول ما دمتَ لست من المطلعين بهذه العلوم فلم التجهُّم وحشر النفس فيها ؟!

الثالث : تقول : عن إخراجه لمن يشاء من أمته من النار ، انتهى كلامه .
وهذا لم يقل به أحد ، فلسنا - معشر أهل السُّنة - ندعى أن رسول الله ﷺ يُخرج من شاء من أمته من النار ، لسنا ندعى ذلك ، وإنما نقول بما جاءت به الآيات والأحاديث من أن الله تعالى يأذن لرسوله أن يشفع فى قدر من أمته ، فيسأل الله أن يرحمهم ، فيستجيب الله سبحانه وتعالى له

ﷺ ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الأحاديث التى سأستدل بها على الشفاعة أن الله سيحد له ﷺ حدًّا .

فقولك : إخراجه لمن يشاء من أمته من النار ، قول إنسان لم يدرس موضوع الشفاعة دراسة تؤهله للكتابة فيه ، بل ولا فهمه .

وعلى طريقته فى الخلط فى الآيات السابقة يعود فيقول : بل إن درجات النار وأقسامها قد تحددت سلفاً فى القرآن ، ومواقع المجرمين قد علمت مسبقا ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ [الحجر : ٤٣ ، ٤٤] ، فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل فى النار ، واختصت به واختص بها ، وهذا يؤكد أن كل ما ذكر عن إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة يناقض صريح القرآن ، ولا يمكن أن يكون له أساس من الصحة ، انتهى كلامه .

أقول : كلامك تحكمات لا دليل عليها ، فهل فى الآيتين ما يفيد أن درجات النار وأقسامها قد تحددت ؟ وهل فى الآيتين ما يفيد أن مواقع المجرمين قد علمت إن الآيتين تبينان أن جهنم مصير الكافرين ، ولكل باب من أبوابها السبعة عدد يدخل منه فأين ما تذهب إليه .

وأيضاً هذا خلط على طريقتك فى الآيات السابقة ، فهاتان الآيتان فى الكافرين ، يوضح ذلك الآيات قبلهما ، يقول الله تعالى لإبليس : ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ .
[الحجر : ٤٢ - ٤٤]

إن الآية التى زدتُها أنا وهى رقم (٤٢) قد بَيَّنَتْ المعنى ، فالله يقول لإبليس إن عبادى - أضافهم إليه سبحانه تشريفاً لهم - ليس لك عليهم سلطان فلا تستطيع أن تقلبهم من الإيمان إلى الكفر ، لكن من اتبعك من الضالين فموعدهم جهنم ؛ تلك التى لها سبعة أبواب ، لكل باب منهم جزء مقسوم .

إن الوعيد بجهنم إنما هو لأتباع إبليس الغاوين عن توحيد الله ، وهم جميعاً فى جهنم . ولكن على طريقة منكرى السُّنة تحملون آيات الكفار على المسلمين ، مع أنه مصرح فيها بأنها للكافرين .

وبفضل الله تعالى أكون بهذا قد أجهزت على المحور الأول من المقالة ، وهو محور نفى الشفاعة بناء على إثبات أن من دخل النار لا يخرج منها . وخلاصته أن الآيات المثبتة لذلك إنما هى فى الكافرين .

وأنتقل إلى المحور الثانى وهو :

٢ - إنكاره الشفاعة !!

ويستدل الدكتور مصطفى على نفى الشفاعة بقول الله تعالى : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعا** ﴾ فيقول : فجميعة الأمر والنهى فى يده وحده ، هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها فى يده ، فهو وحده صاحب العلم المحيط ، وهو وحده أرحم الراحمين انتهى كلامه .

وأقول : نعم لله الشفاعة جميعا ؛ لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، ولا يشفع أحد إلا برضاه كما هو ظاهر الآيات ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ فهذا نص فى شفاعة الخلق بشرط أن يأذن الله له .

ولا يصح أن تفسر الآية على أن الله وحده الذى يشفع ، لا يصح هذا

مطلقاً ، فعند من سيشفع ؟ إن الشفاعة لله أى هى مِنَّة يمنُّ بها على من شاء من خلقه .

ويستدل أيضاً بقول الله سبحانه ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ للّه** ﴾ ، فيقول : لا تملك أى نفس لأى نفس ، مهما علا مقام هذه النفس التى تشفع ومهما بلغت درجتها ، لا تملك من أمر الله شيئاً ، انتهى كلامه .

وأقول : نعم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، فالشافع لا يملك للمشفوع له شيئاً ، إنما يرجو الله ويسأله ، فإذا أذن الله له شفع تأمل لفظ الآية : ﴿ **لا تملك نفس لنفس شيئاً** ﴾ نحن لا نقول : إن الرسول يملك لنا شيئاً ، بل ولا لنفسه كما فى قوله تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء اللّه** ﴾ [يونس : ٤٩] ، وإنما نقول : إن الله تبارك وتعالى وعده ﷺ أن يُشَفِّعَه يوم القيامة ، بمعنى يستجيب سبحانه وتعالى رجاء حبيبه ورسوله ، فأى تعارض مع الآية الكريمة ؟

ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ [آل عمران ١٢٨] .

أقول : لم يقل أحد من أهل السُنة إن لرسول الله من الأمر شىء مع الله ، فالشفاعة ليست مشاركة لله فى الأمر .

ثم أتساءل : علام يعود الضمير فى « أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون »؟ علام يعود الضمير فى ﴿عليهم﴾ وفى ﴿يعذبهم﴾ وفى ﴿فإنهم﴾ و﴿ظالمون ﴾؟ إن هذه الضمائر تعود على المذكور فى الآية السابقة على هذه الآية ونصها .

﴿ **ليقطـع طرفا من الذين كفروا أو يكبتــهم فينقــلبوا خائبـــين** ﴾ [آل عمران : ٢٧] وعليه فهذه الضمائر تعود على الكافرين ، فلماذا يجعلها منكروا الشفاعة على المسلمين ؟

ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً** ﴾ .
[النساء : ١٢٣]

وأقول : نعم ، المسيء لا يجد له من دون الله من يتولاه ولا من ينصره ، وهذا لا ينفى الشفاعة ، فالشافع ليس ولياً من دون الله ، وليس نصيراً من دون الله ، وإنما هو شافع بإذن الله ، هو مخلوق يرجو ربه ، ويسأله العفو عن مسيء .

إن مشكلة الدكتور مصطفى وغيره من منكرى الشفاعة والسُّنة أنهم يكتبون فى غير تخصصهم ، ومن هنا فليس عند الدكتور مصطفى تصور لما يكتب فيه ، فهو مرة يفسر الشفاعة بأنها « الوساطة » ومرة يفسر الشفاعة بأنها « مشاركة الله » ومرة بأنها « إضافة معلومات لله » ولو علم أنها « سؤال بعض الخلق ربهم الرحمة لآخرين » لو فهم ذلك لتغير كلامه ، ولما كتب الذى كتب . كم فى القرآن من دعوات صالحين لمسلمين ، وفى القرآن المنع من الاستغفار للمشركين ، فما المانع من الشفاعة للمسلمين ؟

ويستدل على نفى الشفاعة بحديث كتبه هكذا : « يا خديجه ، إنى لن أغنى عنك من الله شيئا » .

« يا عائشة ، إنى لن أغنى عنك من الله » .

وأقول :

أولاً : هذا كلام لا يقوله من له أدنى ثقافة إسلامية ، فإذا كانت هذه

ثقافة الدكتور مصطفى الإسلامية فبالله أرحنا منك .

عجبت لك تتكلم فى أمور دقيقة - الشفاعة ، والسُّنة ، والبخارى ، وتفسير القرآن - وأنت لا تعرف ألف باء الثقافة الإسلامية ، ولست صاحب حس إسلامى ، فهل يمكن أن يقول رسول الله : يا خديجة . يا عائشة ؟ كيف هذا ، وخديجة توفيت قبل زواجه بعائشة بعدة سنوات ، ولم يلتقيا فى حياته الزوجية لحظة .

كنت سأترك هذه الزلة ، لكنى خشيت أن يأتينا شخص من منكرى السنة ، وهم يعتمد بعضهم على كلام بعض ، فيعتمد على روايتك هذه ، ويقول : هذا حديث موضوع ، فعائشة لم توجد فى حياة رسول الله ﷺ فى هذه الفترة . فأردت أن أبين خطأك قبل أن تُخَطِّئُوا السُّنة وأهلها .

ثانياً : أسوق لك نص الحديث ، فقد أخرج البخارى بإسناده عن أبى هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قال : « يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً .. يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً .. ويا صفية عمة رسول الله ﷺ ، لا أغنى عنك من الله شيئاً .. ويا فاطمة بنت محمد ﷺ ، سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » .

[أخرجه البخارى : فى التفسير ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٨/٥٠١ رقم ٤٧٧١، وتقدم عنده رقم ٢٧٥٣ ورقم ٣٥٢٧]

وأقول : هذا الحديث لا ينفى الشفاعة ، والمحدثون لم ينقلبوا على أنفسهم ولا نكسوا على رؤوسهم يا دكتور مصطفى ، ولو درستَ تاريخهم ، وعرفت سيرهم ما قلت هذا فى حقهم .

أما الحديث فالجواب عنه من جهتين :

الأولى : إن هذا الحديث متقدم ، كان فى بداية الدعوة ، وكان يدعوهم إلى التوحيد ، وبدون التوحيد لا شفاعة ، فمن أسلم منهم يمكن أن يشفع له ، أما من لم يسلم فإنه لن يغنى عنه من الله شيئاً .

الثانية : إن هذا الحديث المتقدم ، كان فى بداية الدعوة ، ولم يكن الله سبحانه أعلمه ﷺ بأنه سيشفعه بعد .

دليل لم يذكره :

وهناك نوع من الأدلة – لم يذكره الدكتور مصطفى وغيره من منكرى الشفاعة – أذكره ؛ لأنه يمكن أن يروِّجوا له بين الناس على أنه ينفى الشفاعة .

هذا الدليل فى آيتين من سورة البقرة :

يقول الله تعالى : ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون** ﴾ [البقرة : ٤٨] .

ويقول سبحانه : ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** ﴾ [البقرة : ١٢٣] .

هاتان الآيتان على الرغم من تباعدهما فى سورة البقرة إلا أن قبل كل منهما آية لفظها واحد وهى : ﴿ **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين** ﴾ [البقرة : ٤٨ ، ١٢٢] .

وواضح من هذه الآية أن الكلام فى بنى إسرائيل .

يذكرهم الله بسالف نعمه على آبائهم ، وما كان فضَّلهم به من إرسال الرسل منهم ، وإنزال الكتب عليهم ، فضلهم بذلك على سائر الأمم من أهل

زمانهم ، ثم يحذرهم من نقمه يوم القيامة ، يوم لا يغنى أحد عن أحد ، ولا تنفع الشفاعة لكافر ، ولا يستطيع الإنسان أن يفدى نفسه ، ولا يستطيع أحد أن ينصره .

إن الشفاعة المنفية هنا إنما هى لبنى إسرائيل إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ، فلا شفاعة للكافرين ، وإنما الشفاعة لأهل لا إله إلا الله محمد رسول الله ، هذه الكلمة الفاصلة ، وهى الفارق بين الإيمان والكفر .

وآيتان أخريان يقول الله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ **فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم** ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] .

ويقول سبحانه فى سورة المدثر : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ . [المدثر : ٤٨]

قد يستدل منكروا الشفاعة بهاتين الآيتين على أنه لا شفاعة ، وأجيبُ عنهما من الآن ، فآية الشعراء نقرأ قبلها : ﴿ **وبرزت الجحيم للغاوين * وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون اللّه هل ينصرونكم أو ينتصرون * فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون * قالوا وهم فيها يختصمون * تاللّه إن كنا لفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين * وما أضلنا إلا المجرمون * فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم** ﴾ [الشعراء : ٩١ - ١٠١] .

فواضح أن الشفاعة المنفية هنا إنما هى للكافرين ، الذين يعبدون غير الله .

وكذلك آية المدثر فإنا نقرأ قبلها ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * فى جنات يتساءلون عن المجرمين * ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع**

الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [المدثر : ٣٨ - ٤٨] .

وواضح أيضاً أن الشفاعة المنفية إنما هى للكافرين ، الذين يكذبون بالقيامة والبعث والجزاء ، وهم لا صلوا ولا زكوا ، هؤلاء هم الذين لا تنفعهم شفاعة شافع ، كما قال الله تعالى : ﴿ **إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك باللَّه فقد افترى إثما عظيماً** ﴾ [النساء : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ **إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك باللَّه فقد ضل ضلالاً بعيدا** ﴾ [النساء : ١١٦] .

أما أهل لا إله إلا الله ففيهم يقول الله تعالى : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وبعد أن فندت أدلته على نفى الشفاعة ، سواء منها الأدلة على عدم خروج أهل النار منها ، وأدلة نفى الشفاعة ، بعد ذلك أذكر بتوفيق الله تعالى أدلة ثبوت الشفاعة ، فأقول :

ادلة ثبوت الشفاعة من القرآن الكريم :

فى القرآن الكريم آيات تثبت الشفاعة ، وأنها حق وواقع للملائكة ، ولرسول الله ﷺ ، ولمن شاء الله له أن يشفع ، أذكر منها ما يأتى :

١ - يقول الله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ . [الأنبياء : ٢٦ - ٢٨]

يخبر ربنا سبحانه وتعالى أن الكفار ادعوا أن الله له أولاد هم الملائكة . فرد الله عليهم بأنهم ليسوا أولاد الله بل عباد مكرمون ، يطيعون الله فى القول والعمل ، ولا يشفعون إلا لمن رضى الله الشفاعة له .

وواضح أن هذه الآيات تثبت الشفاعة ، فمن أنكر الشفاعة فقد أنكر هذه الآيات .

٢ - يقول الله تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ...** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وهذه الآية هى آية الكرسى ، والكثيرون يحفظونها كاملة ، اقتصرت من بدايتها على موطن الشاهد ، وهو قوله سبحانه : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ فهذا يثبت وقوع الشفاعة ، وأنها حق وواقع ، ومن أنكرها فقد أنكر هذا القدر من القرآن الكريم .

٣ - يقول الله تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * فى جنات يتساءلون عن المجرمين * ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ .
[المدثر : ٣٨ - ٤٨]

وهذه الآيات تثبت أن هناك شفاعة لشافعين ، إلا أن الكفار محرمون منها ، فهى تثبت فى أساسها وجود الشفاعة ، فمن أنكر الشفاعة أنكر هذه الآيات .

٤ - يقول الله تعالى عن الكافرين : ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى**

تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ [الأعراف : ٥٣] .

تمنى الكافرون أن يكون لهم شفعاء ليشفعوا لهم ، وهذا دليل على أنه هناك شفاعة للمؤمنين ، فمن أنكرها فقد أنكر هذه الآية .

٥ - يقول الله تعالى : ﴿ **وبرزت الجحيم للغاوين * وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون * فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون * قالوا وهم فيها يختصمون * تالله إن كنا لفى ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين * وما أضلنا إلا المجرمون * فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾** [الشعراء : ٩١ - ١٠١] .

اعترف الكافرون بأنه ليس لهم من يشفع ، وهذا دليل على وجود الشفاعة والشفعاء ، فمن أنكر الشفاعة فقد أنكر هذه الآيات .

ومع هذه الآيات آيات كثيرة تثبت كلها الشفاعة ، وأنها بإذن الله ، وأنها ليست للكافرين .

* * *

أدلة ثبوت الشفاعة من السنة النبوية

فى السُّنة النبوية أحاديث كثيرة تثبت الشفاعة ، أذكر بعضاً منها :

١ - حديث عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » .

[أخرجه ابن ماجه : فى الزهد ، باب ذكر الشفاعة ١٤٤٣/٢ رقم ٤٣١٣]

٢ - حديث أبى سعيد الخدرى وهو حديث طويل ، وفيه يقول الله عز وجل : « شَفَعَت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حُمَما ، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة ، يُقال له : نهر الحياة » الحديث . وقد أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان رقم ٣٠٢ ، وهو عند البخارى رقم ٧٤٣٩ ومعنى « حُمَماً » ، فحما ، أنهم أناس قالوا : لا إله إلا الله ، لكنهم لم يعملوا خيراً ، يعذبون فى جهنم ، لكن لا يخلدون فيها ، بل يخرجهم الله بعقيدة التوحيد .

٣ - حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ، قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب ، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال : فيشفعان » أخرجه أحمد ١٧٤/٢ ، وذكره المنذرى فى الترغيب ٥٨٩/٢ وقال : رواه أحمد ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع ، والطبرانى فى الكبير ، والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم . قال فى مجمع الزوائد ١٨١/٣ رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجال الطبرانى رجال الصحيح .

٤ – حديث حذيفة عن النبى ﷺ ، قال : « يُخْرِج الله قوماً منتنين ، قد محشتهم النار ، بشفاعة الشافعين ، فيدخلهم الجنة ، فيسمون الجهنميـون » [أخرجه أحمد ٥/٤٠٢ قال فى مجمع الزوائد ١٠/٣٨٠ رواه أحمد من طريقين ، ورجالهما رجال الصحيح ، وله شاهد عن عمران بن حصين عند البخارى ٦٥٦٦ وسيأتى] .

وأحاديث كثيرة مع هذه تثبت الشفاعة ، وأنها حق ، وأن الله تبارك وتعالى يأذن لبعض خلقه من الملائكة ، والأنبياء ، والشهداء ، والعلماء ، والمؤمنين فيشفعون لمن شاء الله ، ومن بقى من أهل لا إله إلا الله فى النار ، فإن الله سبحانه ينعم عليهم برحمته ، فيخرجهم جميعاً .

وبعد أن أثبت الشفاعة بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فلم يبق مجال لإنكار الشفاعة ، فإنها حق وصدق .

وإنى قد أثبت بالأدلة من القرآن والسُّنة أن الشفاعة عموماً حق ، فإنى أستدل أيضاً من القرآن الكريم والسُّنة النبوية على شفاعة رسول الله محمد ﷺ خاصة .

* * *

أدلة ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد
من القرآن الكريم والسنة النبوية

شفاعة رسول الله ﷺ نوعان :

(أ) شفاعة للإنسانية كلها ، وتسمى الشفاعة العظمى .

(ب) شفاعة لأمة الإسلام .

أما **الشفاعة العظمى** فثابتة بقوله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ فقوله سبحانه : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ « عسى » هنا تفيد القطع والوجوب ؛ لأنها من كلام الله تعالى ، وهو سبحانه وتعالى الخالق القادر المقتدر ، والمعنى : إن الله سيبعثك مقاماً محمودا ، أى مقاماً يحمده لك كل الناس ، ولقد فسره ﷺ بأنه الشفاعة العظمى :

١ - فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ وسئل عنها ، فقال : هى الشفاعة ، أخرجه الترمذى فى تفسير الآية ٥٧٢/٨ ، وحسنه ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى « السُّنة » ٣٦٤/٢ رقم ٧٨٤ .

٢ - وعن كعب بن مالك عن النبى ﷺ قال : « يُبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ، ويكسونى ربى تبارك وتعالى حلة

خضراء ، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود » .

[أخرجه أحمد ٤٥٦/٣ قال فى مجمع الزوائد ٥١/٧ ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى « السنة » ٣٦٤/٢ رقم ٧٨٥] .

٣ - ومما يثبت شفاعته ﷺ ، ويبين الكثير عنها حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من رُوحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربنا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، ويقول : ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ،ويذكر خطيئته ، ائتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلاً ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، ائتوا موسى ، الذى كلمه الله فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته ، ائتوا عيسى ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمداً ﷺ فقد غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخر ، فيأتونى ، فأستأذن على ربى ، فإذا رأيته وقعت له ساجداً ، فَيَدُعنى ما شاء الله ، ثم يُقال لى : ارفع رأسك ، وسَلْ تُعْطَه ، وقُل يُسمَع ، واشْفَع تُشَفّع ، فأرفع رأسى ، فأحمد ربى بتحميد يعلِّمنى ، ثم أشفع فيحدُّ لى حدًّا ، ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة ، حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه « القرآن » أخرجه البخارى فى الرقاق رقم ٦٥٦٥ وفيه بيان أنه ﷺ يشفع للبشر لبدء الحساب ، وأول من يحاسب أمته فيشفع لها أيضاً ﷺ ، ففيه إثبات الشفاعة العظمى وشفاعته لأمته ﷺ ، وفى رواية أخرى لهذا الحديث عند البخارى أيضاً رقم ٧٤٤٠ ثم تلا الآية : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ قال : وهذا المقام المحمود الذى وُعِدَه نبيكم ﷺ ، وهذا الحديث عند الإمام مسلم رقم ١٩٣ .

وراجع حديث رقم ٢٣٤٥ من « المختارة » للضياء المقدسى من مسند أنس .

وفى هذا الحديث رد على عدة نقاط مما يستشكل به منكرو الشفاعة ، ففيه :

* إن الشفاعة ليست مشاركة لله ، وليست خروجاً عن أمر الله ، بل يسجد ﷺ لله ، ثم يسبحه بتسبيحات يلهمه الله إياها .

* إن الشفاعة ليست برأى رسول الله ﷺ يخرج من يشاء من النار ، وإنما يحدُّ الله له حداً ، فيخرجهم من النار .

* إن الشفاعة لا يعتمد عليها الناس ، فإنها لا تمنع من دخول النار ، وإنما قد تكون بعد العذاب فترة ، ومن له جلد على النار لحظة ؟ نسأل الله العافية .

* إن الشفاعة لأهل التوحيد ، أما أهل الكفر الذين نص القرآن على أنهم من أهل النار فلا شفاعة لهم .

٤ - ومما يثبت شفاعته ﷺ أيضاً قول الله تعالى : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ [سورة الضحى : ٥] .

إن كل نبى حريص على نجاة أمته يوم القيامة ، ولقد ذكر ﷺ الأنبياء وحرصهم على أممهم ، فدعا الله لأمته ، فطمأنه تبارك وتعالى .

٥ - فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم : ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾ وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فرفع يديه وقال : اللهم ، أمتى أمتى ، وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل عليه الصلاة

والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال- وهو أعلم - فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك فى أمتك ، ولا نسوؤك » .
[أخرجه مسلم ١٩١/١ رقم ٣٤٦]

ومن هنا فسر بعض الأئمة هذه الآية : ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ بالشفاعة يشفع لأمته وللبشرية كلها ، ببدء الحساب ، ويشفع ﷺ لأمته برفع درجات البعض ، وبخروج البعض من النار .

فسّر آل البيت عموماً هذه الآية بالشفاعة ، ويرونها أرجى الآيات .

وعن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ ، قال : لا يرضى محمد وأحد من أمته فى النار .

وسئل الحسن البصرى عن هذه الآية ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ ، فقال : هى الشفاعة ، هذه الأحاديث كلها ذكرها السيوطى فى الدر المنثور ٣٦١/٦ وخرَّجها .

ولولا الحرص على الاختصار لجعلت من الآية الواردة على لسان إبراهيم ، والواردة على لسان عيسى عليهما السلام ، لجعلت من كل منهما دليلاً على الشفاعة ، فكل منهما يسأل الله المغفرة لأمته ، وهذا نوع شفاعة خاصة .

وفى الحديث تصريح بأن الشفاعة مِنَّةٌ من الله على رسوله محمد ، وأن الله تبارك وتعالى يُرْضى بالشفاعة رسوله ﷺ .

٦ - وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين » .
[أخرجه البخارى رقم ٦٥٦٦]

٧ - وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع فى الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » [أخرجه مسلم ١٨٨/١ رقم ٣٣٠].

٨ - وعن زيد بن أرقم عن النبى ﷺ قال : « شفاعتى يوم القيامة حق ، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها » أخرجه ابن منيع عن بضعة عشر صحابياً ، وهو حديث صحيح متواتر كذا فى نظم المتواتر ص ١٤٩ رقم ٣٠٤ وفيض القدير ١٦٣/٤ ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب ، وهذا الأثر صحيح ، أخرجه الأجرى فى الشريعة ١٤٧/٢ رقم ٨٢٩ واللالكائى فى السُنة .

٩ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً » .

[أخرجه مسلم ١٨٩/١ رقم ٣٣٨ ، والبخارى ٤٤٧/١٣ رقم ٧٤٧٤]

وفيه أن الشفاعة دعوة ، فكل نبى له دعوة عامة فى أمته يعطاها ، محققة الاستجابة ، دعوة لها قدرها ، ومحمد ﷺ لم يدعُ هذه الدعوة وإنما ادخرها يسأل الله خيراً لأمته يوم القيامة .

وعليه فالشفاعة ليست مشاركة لله ، وليست نفوذاً للشافع فى ملك الله كما يقول منكرو الشفاعة ، وإنما الشفاعة رجاء ودعاء ، تضرع وبكاء ، فيستجيب مالك الأرض والسماء .

وفى الحديث أيضاً أن الشفاعة لأهل التوحيد ، أما من مات على الشرك فلا نصيب له فيها .

١٠ - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة » [أخرجه البخارى فى التفسير ٣٩٩/٨ رقم ٤٧١٩] .

و « الدعوة التامة » الأذان ، و « الصلاة القائمة » أى ورب الصلاة القائمة ، و « الوسيلة والفضيلة » أعلى المراتب فى الجنة .

وفى الحديث بيان واضح أن الشفاعة من باب التواضع ، حتى إنه ﷺ يطلب من أمته الدعاء له .

١١ - عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يُعْطَهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاةفليصل ، وأحلت لى المغانم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .
[أخرجه البخارى فى التيمم الباب الأول منه ٤٣٥/١ رقم ٣٣٥]

وتأمل قوله ﷺ : « أُعْطيتُ خمساً » أى أن الله أعطاه ، ثم يقول : « وأعطيت الشفاعة » أبعد ذلك يقول قائل « فجمعية الأمر والنهى فى يده وحده ،هو وحده الملجأ والملاذ ، وجمعية الشفاعة بأسرها فى يده فهو وحده صاحب العلم المحيط وهو وحده أرحم الراحمين ، ولا يستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله أو أعلم بهم منه .

أقول له : على رسْلك ، مهلاً ، فإنه ﷺ يقول : « وأعطيت الشفاعة » مَنَّ الله بها عليه ، أنعم بها عليه ، إنها ليست من ذات محمد ، إنما هى مِنَّةٌ

الله على محمد ﷺ ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ .
[البقرة : ٢٥٣]

والأحاديث فى إثبات الشفاعة له ﷺ كثيرة ، يمكن أن يجمع فيها جزء ، منها ما هو متواتر ، والكثير منها صحيح ، قد ذكرها المحدثون الأوائل فى كتبهم ودرسها المحدثون بعدهم ، ومن أراد علماً أخذه من أهله ، وإلا ضل سعيه ، فمن أراد دراسة الشفاعة فليدرسها من كتب التفسير والحديث ، حينئذ يكون على المنهج السوى .

وأكتفى بهذا القدر من الأحاديث ، ففيه لطلاب الحق كفاية .

إنكار السُّنة : ليست القضية قضية الشفاعة ، وإنما القضية قضية تضييع السُّنة ، وتضييع السُّنة إنما لتضييع القرآن والإسلام .

فمنذ فترة نسمع من بعض الشخصيات أنه يجب الاعتماد على القرآن وحده ، مدعين أن القرآن فيه الكفاية ، وجاء الدكتور مصطفى محمود فسار على هذا النهج يقول : « والعمدة المعتمد فى جميع أمور الملة هو القرآن المجيد ، نتمسك به ، ونحتكم إليه فى كل صغيرة.وكبيرة ، وما تناقض فى كتاب السيرة مع القرآن لا نأخذ به » انتهى كلامه .

وأقول لهم : نعم ، القرآن الكريم فيه الكفاية ، وهو العمدة المعتمد فى جميع أمور الملة ، ونحن حينما نعمل بالسُّنة إنما نعمل بالقرآن ، فإن الله أمرنا فى القرآن الكريم باتباع رسوله ، فقال سبحانه : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال سبحانه : ﴿ **وأنزل اللّٰه عليك الكتاب والحكمة** ﴾ .
[النساء : ١١٣]

وقال سبحانه : ﴿ **لقد مَنَّ اللَّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ واضح من الآيتين أن الله أنزل على رسوله الكتاب والحكمة ، وأن رسول الله يُعَلِّم الأمة الكتاب والحكمة ، أما الكتاب فهو القرآن ، وأما الحكمة فهى سنته ﷺ ، نزلت من عند الله ، وعلمها رسول الله للأمة ، وقال سبحانه : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ [الأعراف : ٣] أى اتبعوا الكتاب والسُّنة .

وكثير من الآيات تأمر بطاعته ﷺ ، وماذا بعد قول الله ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع اللَّه ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾ .
[النساء : ٨٠]

وكثير من الآيات تأمر باتباعه يقول الله ﴿ **قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعونى يحببكم اللَّه ويغفر لكم ذنوبكم واللَّه غفور رحيم * قل أطيعوا اللَّه والرسول فإن تولوا فإن اللَّه لا يحب الكافرين** ﴾ [آل عمران : ٣١ ، ٣٢] .

وأتساءل مع منكرى السنة : ماذا تقولون فى هذه الآيات الآمرة بطاعته ﷺ ؟ أأنتم عاملون بها أم رافضوها ؟

فالله يقول : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول اللَّه أسوة حسنة** ﴾ فهل أنتم عاملون بهذه الآية ، أما نحن أهل السُّنة الذين نقول : إننا نعمل بالقرآن والسُّنة ، فنحن نعمل بها ، فمن يستحق وصف قرآنىّ : نحن العاملون بكل القرآن ، أم أنتم الذين تتركون بعض آيات القرآن ؟ وبخاصة الآيات الآمرة بطاعة رسول الله ، والآيات الآمرة باتباعه ﷺ ، والآيات المحذرة من مخالفته ، وهى كثيرة ، وقد جمعت معظمها فى كتابى « المدخل إلى السُّنة النبوية » .

تناقض وتناقض :

ويكرر منكرو السُّنة مقالة الأحاديث المتناقضة مع القرآن ، لا نعمل بها ، ويقلدهم الدكتور مصطفى ، فيقول : وما تناقض فى كتب السيرة - هو يستعمل السيرة بدل السُّنة حتى أنه يطلق على صحيح البخارى كتاب سيرة - مع القرآن لا نأخذ به . انتهى كلامه .

وأقول لهم : علماء الإسلام سلفاً وخلفاً متفقون على أن ما تعارض مع القرآن لا يؤخذ به سواء فى الحديث ، أو فى السيرة ، أو فى أى مجال آخر .

وليس هناك حديث واحد يتناقض مع القرآن الكريم ، والحديث الذى ذكرتموه من أن النبى ﷺ رهن درعه عند يهودى بشعير فهذا الحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى أول كتاب الرهن ، وأخرجه فى الجهاد ، والمغازى ، وأخرجه غيره .

ولا تناقض فيه مطلقاً مع قول الله ﴿ **ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ فلقد كانت الأموال تأتيه ﷺ ، لكنه ما كان يحرص عليها ، وإنما ينفقها فى طاعة الله تعالى ، والقرآن الكريم يحث على الإنفاق .

فيقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ **من ذا الذى يقرض اللّه قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة** ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

ويقول سبحانه : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل اللّه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة واللّه يضاعف لمن يشاء واللّه واسع عليم** ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

ويقول سبحانه : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**

فَلَهُم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وغير ذلك آيات كثيرة ، تحث على الإنفاق ، وآيات تحذر من البخل والشح .

لقد رهن ﷺ درعه على ثلاثين صاعاً من شعير ، تساوى ديناراً ، أخذ هذا الشعير من يهودى يسمى أبا الشحم حليف بنى ظفر من الأنصار ، فأى تعارض مع الآية ، إنه الغنى الذى يجود بماله فى سبيل الله ، إنه الغنى الذى يمثل القرآن ، وأعتقد لو أن حديثاً جاء أن رسول الله كان عنده أموال فى بيته لقلتم هذا يتعارض مع القرآن ؛ ولقلتم : ألم يَعِبْ القرآن حب المال ؟ ألم يَدْعُ القرآن إلى الإنفاق ؟ وهكذا .

إن جاء حديث بأنه أنفق ، قلتم متناقض مع القرآن .

وإن جاء حديث بأنه لم ينفق قلتم متناقض مع القرآن .

وإنى أتساءل معكم : ألا تجدون آية فى القرآن ، بل آيات فى القرآن تؤيد هذا الحديث ؟

أما أنا فإنى أجد ، أجد الآيتين اللتين بعد آية : ﴿ **ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ وهما قوله تعالى : ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر** ﴾ رسول تعرفه ألامة ، ربه يأمره بإكرام اليتيم ، وإعطاء السائل كم يبقى من ماله ؟

وآيتين آخريين يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] .

لماذا يطلقهن إن أردن الحياة الدنيا وزينتها ؟ إنه على قولكم غنى فلم الطلاق ؟

الجواب : إن غناه فى طاعة الله وماله ينفقه لا فى متع الدنيا وزينتها ، وإنما فى الطاعات ، فلا غرابة أن يرهن درعه .

إن قولكم بأنه كان كثير المال يتناقض مغ كل هذه الآيات ، ويتناقض مع قوله سبحانه : ﴿ **وتحبون المال حباً جمًّا** ﴾ ينكر ربنا علينا حب المال ، فلا يليق ذلك برسول الله ، لكنكم تريدونه محباً للمال ، حريصاً عليه ، متوفراً فى يده ، وهذا يجعلكم أنتم المتعارضين مع القرآن الكريم بفهمكم هذا .

إننا لا نقبل أى نص يتناقض مع القرآن الكريم ، لكن بشرط أن يحكم بالتناقض أهل العلم .

وها نحن فى بداية هذا الرد رأينا كيف جعلتم الآيات الواردة فى عذاب الكفار جعلتموها على المسلمين ، وادعيتم التناقض بينها وبين أحاديث الشفاعة ، ولما بينت بتوفيق الله حقيقة الأمر ، وأن هذه الآيات فى الكفار ، انتفى التناقض وزال .

وأيضاً فى حديث رهن الدرع جعلتموه متناقضاً مع آية ﴿ **ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ وقد أبنت أنه لا تناقض بينه وبين الآية .

وأزيد الأمر وضوحاً فى حديث رهن الدرع ، فلقد رهن درعه عند يهودى لغرض شرعى هو : البيان العملى لقول الله تعالى :

﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم** ﴾ [المائدة : ٥] .

قال العلماء : والحكمة فى عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود بيان الجواز ، أو خشى أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً .

إن مسألة التناقض يرفضها علماء الإسلام ، ولقد درسوا الأحاديث فى

ضوء القرآن الكريم ، وفى ضوء بعضها ، واشترطوا لصحة الحديث أن لا يعارض أقوى منه ، فلو عارض آية قرآنية اعتبروه لا يعمل به .

وإذا كنت قد أثبت أن منكرى السنة هم الذين يصنعون التناقض بين القرآن والسنة بفهمهم الخاطئ ، فأضيف إننى وجدت فى مقال الدكتور مصطفى محمود **إثارة تناقض بين القرآن والقرآن !!**

الدكتور / مصطفى يدعى تعارض القرآن مع بعضه !!

إنه لم يكتف بإثارة التعارض والتناقض بين القرآن والحديث ، وإنما راح يضرب القرآن بعضه ببعض !! ويقيم التناقض بين آية وأخرى ، سبحان الله !!

يقول فى مقال ١٩٩٩/٥/١٥ :

ونحن لا نريد عذاباً لأحد .. ونحن مثل غيرنا أهل ذنوب ونلتمس المخرج من أهوال هذا اليوم ، ولكن القرآن لا يفتح لنا باباً إلا ويسده .. فهو يقول : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ [سبأ : ٢٣] .

وهو كلام عن الملائكة ، ولكن ماذا يقول القرآن بعد ذلك ﴿ **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم** - لهول الموقف - **قالوا** - أى قال الملائكة - **ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير** ﴾ إذن لا معدى فى هذا اليوم (يوم الفزع الأكبر) عن الحق ، ولا إذن إلا بالحق ، وفى مكان آخر يقول عن الملائكة : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ [الأنبياء : ٢٨] وبذلك عاد فأغلق الباب وجعله مقصوراً على أهل الرضا أى المرضىّ عنهم . وهو تحصيل حاصل . فالمرضىّ عنهم ناجون بحكم ما فعلوا فى حياتهم من خير ، والحسنات كما يقول القرآن يذهبن السيئات ومازلنا ندور فى حلقة مفرغة . انتهى كلامه .

واضح أنه يقيم التناقض بين القرآن والقرآن ، يقول : القرآن لا يفتح باباً إلا ويسده ، ما هذا ؟ هذا معناه تناقض : وهو لا يليق . ويرى أن الشفاعة لمن أذن الله له تتناقض مع « ماذا قال ربكم قالوا الحق » رائياً أن الشفاعة ليست حقاً ، فأقام تناقضاً بين أول الآية وآخرها ! ولقد أخطأ فى فهم الآية كثيراً ، فيرى أن « فُزِّع عن قلوبهم » معناها استولى عليها الفزغ بدليل قوله لهول الموقف ، بينما « فُزِّع » صيغة تفعيل تفيد السلب ، مثل فلان « مُرِّض » أى أزيل عنه المرض ، ولكن من يفهم هذه الدقائق اللغوية من منكرى السنة ؟! إنهم غير متخصصين فى العلوم الشرعية واللغوية .

يقول صاحب كتاب « لسان العرب » وهو من أوسع كتب اللغة العربية - إن لم يكن أوسعها - يقول : وفُزِّعَ عنه أى كُشِفَ عنه الخوف ، وقوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم** ﴾ عَدَّاهُ بعن لأنه فى معنى كُشِف الفزع . انتهى كلام ابن منظور ، فى أول مادة « فزع » وهو فى نسختى ٣٤٠٩/٥ الثلث اليسار فى آخره مع الصفحة التالية .

ولست أدرى ما دام معنى « فُزِّع » كُشِفَ الخوف كما قال صاحب لسان العرب فكيف يستقيم كلام الدكتور مصطفى ﴿ **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم** ﴾ - لهول الموقف - لقد فهم اللفظ القرآنى خطأً .

سبحان الله : ابن منظور يمثل بنفس الآية ، ويبين معناها عكس ما فهم الدكتور مصطفى .

ويقيم تعارضاً بين آية : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له** ﴾ [سبأ : ٢٣] فيقول - كما نقلته عنه سابقاً - وبذلك عاد فأغلق الباب .

وأتساءل مع القارئ : بالله عليك هل أُغلق الباب ؟ ، آية تفيد الشفاعة

بإذن الله ، وآية تفيد الشفاعة لمن يرضى له الله ، فهما بمعنى واحد ، فلا شفاعة إلا بإذن الله وبرضاه ، فلا تناقض .

ثم يأخذ الآية : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ فيجعلها متعارضة مع بعضها ، فيقول : جعله - باب الشفاعة - مقصوراً على أهل الرضا ، أى المرضى عنهم وهو تحصيل حاصل فالمرضى عنهم ناجون بحكم ما فعلوا فى حياتهم من خير ، والحسنات - كما يقول القرآن - يذهبن السيئات ، وماذلنا ندور فى حلقة مفرغة . انتهى كلامه .

أقول له : أخطأت فى تفسير « ارتضى » ففهمتها على أنها ولا يشفعون إلا لمن رضى الله عنه ، بينما المعنى : ولا يشفعون إلا لمن رضى الله أن يُشفع له ، (تفسير الآلوسى ١٠/٤٩) .

ولو أنك قرأت الآية ٢٦ من سورة النجم لما وقعت فى هذا ، يقول الله تعالى : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ .

إن المعنى الذى ذهبت إليه كان يصح لو كان نص الآية « ولا يشفعون إلا لمن رضى الله عنه » لكنها ليست كذلك .

أما حديثك عن القرآن فالله هو الذى يحاسبك عليه ، تقول عن القرآن : تحصيل حاصل ، وتقول عنه : يدور فى حلقة مفرغة ، وأعتقد لو قيلت لك كلمة من هاتين لما قبلت ، وإنى أخشى عليك شؤم هذا ، فهذا الكتاب كلام الله ، من تجرأ عليه فقد تجرأ على الله . وفى عقوبة ذلك قرآن يتلى .

الدكتور مصطفى يعيب البخارى !

ألاحظ على منكرى السُّنة أنهم يحرصون على تدمير رجلين ، أبى هريرة

والبخارى ، والسبب معروف ، فأبو هريرة أكبر راو ، والبخارى أكبر مؤلف فى السُّنة .

والدكتور مصطفى محمود سار على النهج ، فأخذ يعيب كل كُتب السُّنة ، ومؤلفيها ، وبخاصة البخارى ، عابهم بإخراج حديث رهن درع رسول الله ﷺ ، وقال : إنه موضوع مدسوس ، وأقام تعارضاً بينه وبين القرآن الكريم ، ولقد سبق أن بينت بفضل الله عدم تناقضه مع أى آية ، بل هو متوائم تماماً مع الآيات .

ويقول الدكتور مصطفى : والقرآن هو الكتاب الوحيد الذى تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أى تحريف ، قال فى كتابه المحكم : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ ولم يقل لنا رب العالمين : إنه حفظ كتاب البخارى أو غيره من كتب السيرة ، وما يقوله البخارى مناقض للقرآن لا يلزمنا فى شىء ، ويسأل عنه البخارى يوم الحساب ، ولا نسأل نحن فيه . انتهى كلامه .

وأقول لهم : نعم قال ربنا : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر: ٩] فما معنى « الذكر » أهو القرآن أم هو الوحى ؟

الراجح أنه الوحى ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم** ﴾ [الأعراف : ٦٣ ، ٦٩] وهذا خطاب لأمم سابقة ، والذكر هنا معناه الرسالة التى جاءهم بها نبيهم ، وأيضاً بدليل قوله تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر** ﴾ [الأنبياء : ٧] أى الذين نزل لهم وحى .

فعلى هذا المعنى ، وأن « الذكر » هو الوحى كله ، فتكون الآية معناها : إن الله تكفل بحفظ ما أوحاه إلى نبيه ﷺ ، وهو الكتاب والسُّنة ، كما

في آية أخرى ﴿ **وأنزل اللّه عليك الكتاب والحكمة** ﴾ [النساء : ١١٣]
وآية أخرى ﴿ **لقد مَنَّ اللّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ [آل عمران : ١٦٤]
فالله أنزل على رسوله الكتاب والحكمة ، والرسول ﷺ يُعَلِّم الأمة الكتاب والحكمة ، والله ربنا تكفل بحفظ الكتاب والحكمة .

ومن المنطق السليم تفسير الذكر فى ضوء آيات القرآن الكريم الأخرى ، فما دامت آية النساء تفيد أن الله أنزل على رسوله الكتاب والحكمة ، ورسول الله يعلم الأمة الكتاب والحكمة كما فى آية آل عمران ، فيجب تفسير آية الحجر ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ على أن الذكر هو عموم الوحى .

ولا يعقل بعد أن ثبت أن السُّنة وحى ، وذلك بآية النساء ﴿ **وأنزل اللّه عليك الكتاب والحكمة** ﴾ لا يعقل بعد هذا أن نجعل الحفظ مقصوراً على جزء من الوحى وهو القرآن الكريم ، ونترك الجزء الآخر وهو سنته ﷺ .

وعليه فتكون الآية معناها : إن الله تكفل بحفظ الوحى من كتاب وسُنة .

على أنى أقول أيضاً : وعلى فرض أن فسرنا « الذكر » بالقرآن الكريم . ومعنى الآية : إن الله تكفل بحفظ القرآن . على هذا التفسير فالآية أيضاً تفيد حفظ الله القرآن والسُّنة ، لأنه إذا حفظ سبحانه القرآن فإنه يلزم من ذلك أن يحفظ بيان القرآن ، ألا وهو السُّنة ، ولو حفظ القرآن بألفاظه ولم يحفظ بيانه لما كان الحفظ تاماً ، فالقرآن يراد ألفاظه ومعانيه ، ورسول الله ﷺ هو الذى بيَّنه . فحفظ المبيَّن وهو القرآن يقتضى حفظ المبيِّن وهو السنة ، يقول الله تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه** ﴾ [سورة القيامة] .

ترى أن الله يبين القرآن لنبيه ، ويحفظ سبحانه القرآن ، ولا يحفظ البيان الذى أوحاه لنبيه ؟

على أنا نلاحظ حفظ الله القرآن الكريم واقعاً مشاهداً ، فدونك مئات الملايين يحفظونه ، ويُحَفِّظونه ، ويحمونه بأرواحهم .

ونلاحظ أيضاً حفظ الله السُّنة واقعاً مشاهداً ، فالمسلمون مهتمون بها قديماً وحديثاً ، وعلى طول التاريخ ، يعرف ذلك من درس تاريخ السُّنة .

لقد حافظوا عليها وحفظوها ، ودرسوها واستنبطوا منها ، وبذلوا فى خدمتها جهوداً يعترف كل من عرفها بأنهم فاقوا بها كل الأمة ، ووجود كتب الموضوعات دليل على حفظ الله للسُّنة ، فهو سبحانه الذى وفق لها من ميَّز الصحيح من الموضوع ، والموضوع قليل معلوم ، والصحيح كثير مخدوم ، أُلِّف فيه على كل وجه ، فالجوامع ، والمسانيد ، والمعاجم ، والسنن ، والصحاح ، والأجزاء ، والصحيح « المقبول » استنبطت منه العقائد والأحكام ، فها هى كتب الفقه أكثر من أن تحصى ، وهذه كتب تقريب السُّنة أكثر من أن تستقصى ، وكتب الشروح والتخريجات ، وكتب الغريب والتفسيرات ، وكتب الدراية والمصطلحات ، وكتب الرجال والطبقات ، بل كتب ضبط أسماء الأعلام من المؤتلف والمختلف ، والمتفق والمفترق ، وكتب علل الحديث ، وكتب الضعيف ، وكتب الموضوعات ، كل ذلك فى خدمة السُّنة ، وهو خير دليل على حفظ الله تبارك وتعالى السُّنة النبوية .

ورد العلماء على منكرى السُّنة ، وإقامة الدنيا عليهم هذا أيضاً من حفظ الله للسُّنة .

لا مدسوس فى السنة :

إن الذى يقول : إن السُّنة فيها المدسوس والإسرائيليات هو إنسان إما يجهل تاريخ السُّنة ، وإما مغالط مزور ، فعلماء الإسلام قد درسوا أحاديث رسول الله ﷺ ، وميزوا المقبول من المردود ، وعندنا دراسات مستفيضة لحال كل حديث ، وعندنا من العلوم الدرائية ما يمكننا من أن نحكم على أى حديث بالقبول أو الرد من خلال دراستنا . فكتب الرجال عندنا ، وكتب المصطلح والعلل عندنا .

ونحن - أساتذة الحديث - نُدَرِّس لطلابنا طرق معرفة حال الحديث من حديث القبول أو الرد ، إما بحكم الأئمة السابقين ، وهذه كثيرة جداً ، وإما بجهد الطالب ، وكل المعلومات التى يحتاجها هى بفضل الله موجودة متوفرة .

إن من يدرس تاريخ السُّنة يتضح له أنه لا يمكن أن تضيع كلمة منها ، ولا يمكن أن يزاد حرف فيها .

إن علماء السُّنة يعرفون كل حديث ، من يحفظه ، ويروى من كذا وجه ، وألفاظه كذا وكذا ، يعدونها ، ويدققون فيها ، ولو ذكرت الأمثلة لطال ، ولعله فى مؤلف أوسع يتحقق ذلك إن شاء الله تعالى .

إن علماء الحديث قد حافظوا على الأحاديث فى كتبهم ، فرووها ودرسوها على خير وجه ، ولم يقف جهدهم عند هذا الحد ، بل تعدوه ، فدرسوا الأحاديث التى استدل بها أهل العلوم الأخرى ، فحكموا على الأحاديث الواردة فى كتب الفقهاء ، وألفوا فى ذلك مؤلفات ، ودرسوا الأحاديث التى أوردها الصوفية فى كتبهم ، وألفوا فى ذلك مؤلفات ،

ودرسوا الأحاديث التى أوردها المفسرون فى كتبهم ، ولهم فى ذلك مؤلفات .

إننى أستغرب ممن يقول : السُّنة فيها المدسوس ، مما يفهم منه أن المدسوس لا يعرف ، إنه لو أنصف وقال : السُّنة قد ميزت فيها الأحاديث الصحيحة من الموضوعة لكان على الحق ، ولأصبح معروفاً أن أحاديث رسول الله ﷺ معلوم حالها ، والصحيح يعمل به ويتداول ، والموضوع يجتنب ويحذر .

ورحم الله هارون الرشيد أخذ زنديقاً - الكافر الذى يسعى فى إيذاء المسلمين - فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لِمَ تضرب عنقى ؟ قال : أريح العباد منك . قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله ﷺ كلها ، ما فيها حرف نطق به ، قال : فأين أنت يا عدو الله من أبى إسحاق الفزارى وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً ؟ تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩٣ : إن هارون الرشيد خليفة عالم ، طمأنه علمه أن عمل الزنديق هذا لا قيمة له ، فهو يعلم - أى هارون الرشيد - أن علماء الحديث لا يمكن أن تنطلى عليهم حيلة فى علمهم ، ولا يمكن أن يخدعوا لقد بلغ من احترامه العلم أنه حينما مات ابن المبارك هذا جلس هارون الرشيد وعزاه الناس فيه .

البخارى والمدسوس :

وغريب شأن من يقول : البخارى فيه المدسوس ، أما ادعاء الدكتور مصطفى أن البخارى فيه ما يناقض القرآن ، فهى دعوى أثبت فى مقدمة هذا الرد أنها باطلة ، اجتزأ الدكتور مصطفى الآيات اجتزاء غيّر المعنى ، فجعل الخلود فى النار للمسلمين ، بينما هو للكافرين ، وعليه فلا تناقض بين

أى حديث فى البخارى وبين أى آية من القرآن الكريم .

وصحيح البخارى بعيد كل البعد عن الأحاديث الموضوعة المدسوسة ، بل كله صحيح ، بل فى أعلا درجات الصحة ، ألفه البخارى فى زمن الأئمة الأعلام ، والذى يغيب عن البعض أن المحدث من المحدثين كان يؤلف كتابه ، ثم يقرؤه أمام شيوخه ، وأمام الأئمة الأعلام ، ويناقشونه ، ويستوضحون منه ، فيصبح الكتاب مدروساً ، ومنقحاً بفكر مؤلفه ، وبفكر معاصريه ، ثم تأتى أجيال العلماء بعده فيحققون ويدققون ، وكان البخارى ينقح كتبه ، ويرتحل من بلد إلى بلد ، يسمع من العلماء ، ويُسْمع العلماء ، ومثل البخارى كل أئمة الحديث ، ما راموا الراحة ولا أحبوا الدعة ، ولقد ألف الخطيب البغدادى كتاباً فى رحلة من رحل من المحدثين من بلد إلى بلد من أجل حديث واحدًا ، فقد رحل أبو أيوب الصحابى الجليل من المدينة المنورة إلى القاهرة ليتذاكر حديثاً مع الصحابى الجليل عقبة بن عامر فى مصر ، [مسند أحمد ١٥٣/٤] ، ورحل جابر ابن عبد الله من المدينة إلى دمشق من أجل أن يتذاكر حديثاً واحداً مع صحابى قد سمعاه من رسول الله ﷺ ، هذا الصحابى هو عبد الله بن أنيس . [أخرجه الحاكم ٤٢٧/٢ و ٥٧٤/٤ وأحمد ٤٩٥/٣ وراجع كتاب « الرحلة فى طلب الحديث » وكتاب « السُّنة النبوية مكانتها ، عوامل بقائها ، تدوينها » ص ٨٠ ، ٨١] .

وهكذا كان علماء الحديث ، بل كانوا أكثر من هذا ، ولقد زار أبو زرعة الرازى الإمام أحمد بن حنبل ، فأخذا يتناقشان فى الأحاديث وصحتها ، وروايتها ، فجاء ابن من أبناء الإمام أحمد ، ونبه والده إلى ورده ، فلقد كان يصلى كل ليلة مائة ركعة ، فقال الإمام أحمد لابنه ، يا بنى إن فاتنى وردى قضيته ، وأما عقل هذا الرجل فإنى حريص عليه .

المحدثون لا يخطئون فى كتبهم :

والدكتور مصطفى محمود يقول : « الذين كتبوا السيرة - يقصد السُّنة - بشر مثلنا يخطئون ويصيبون » .

وأقول له : نعم هم بشر ، ولم نَدَّع غير ذلك ، أما أنهم فى كتبهم يخطئون فلا ، هذه لا أسلمها لك ، فكما سبق أن قلت : إنهم لا يؤلفون كتبهم ، ثم يسترونها ، لا ، وإنما يحدِّثون بها ، والمستمعون علماء ومتخصصون ، فإذا أخطأ المحدث فى كتابه نبهه الآخرون ، والجميع يردد قول رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة » قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » [أخرجه مسلم] .

إن كتب السُّنة لا تعرف الخطأ ، فهى ليست لمؤلفها فقط ، وإنما قد حُررت ودقق فيها ، فمن أين يأتيها الخطأ .

يقول أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى - أحد أئمة القرن الرابع الهجرى (متوفى ٣٢٢) صاحب كتاب الضعفاء الكبير وغيره من المؤلفات الدقيقة النافعة - يقول : لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على علىّ بن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث . قال العقيلى : والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة . [هدى السارى ص ٤٨٩] .

وهكذا عرض البخارى كتابه على أئمة زمانه ، على ابن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وهؤلاء لا يعرف قدرهم إلا من درس حياتهم ، ولو اتسع المقام لذكرت طرفاً من أخبارهم ، لقد عرض البخارى كتابه على هؤلاء الأعلام وعلى غيرهم ، فأصبح كتابه ليس بفكره فقط

يخطئ ويصيب ، وإنما أصبح كتاباً محققاً ، شأن أى قضية يدرسها جمع من علماء تخصصها .

يقول محمد بن يوسف الفِرَبْرى : سمع كتاب « الصحيح » لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل [سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩٨] .

ماذا يقول منكرو السنة الذين يحاولون النيل من المحدثين ، كتاب يسمعه تسعون ألف رجل ، أيبقى خطأ فيه ؟

د / مصطفى أتحداك ! هذا الحديث كذبته على رسول الله !!

د / مصطفى كيف قبلت أن تكذب على رسول الله ؟!!

لقد ذكرت فى مقالك بأهرام ١٥/٥/١٩٩٩م تحت عنوان « الردود الغاضبة والعاتبة » ذكرت ما نصه :

وما حفزنى على الكتابة فى موضوع الشفاعة إلا حديث رسولنا العظيم الذى قال فيه : « من يترك العمل ويتكل على الشفاعة يورد نفسه المهالك ويحرم من رحمة الله » .

اقول لك : هذا الحديث لم أجده فى أى شىء من كتب السنة ، لا فى الصحيح ، ولا فى الضعيف ، ولا فى الموضوع ، ولو وجدته فى الموضوع لالتمست لك عذراً ، وقلت : الرجل يكتب بدون تخصص ، لكنى لم أجده ، والوضاعون القدماء أعرف منهجهم ، والأسلوب النبوى أعرفه ، وهذا الحديث ليس فيه خصائص الأسلوب النبوى ، ومعناه خطأ ، وليس فيه خصائص أسلوب الوضاعين ، وإنى على يقين أنك أنت الذى وضعته .

أتحداك أن تذكر الكتاب الذى جئت بهذا الحديث منه ، أى كتاب ،

مسنداً كان أو غير مسند ، أحاديثه صحيحة أو موضوعة ، المهم أى كتاب ، والتحدى قائم .

د / مصطفى إذا كان هذا مستواك الإسلامى فأنصحك : ابتعد فلست أهلاً للكتابة فى الموضوعات الإسلامية ، لقد :

تجرأت على القرآن الكريم ..

وأهنت سنة رسول الله ﷺ ..

وكذبت على رسول الله ﷺ ..

واحتقرت الأئمة الأعلام ..

وكل واحدة من هذه لها نصوصها المبينة لجرمها ، لكنى لازلت أرحمك بعدم ذكر هذه النصوص ، لأنى أتمنى لك توبة ، والله يهدينا وكل المسلمين ، ويقينا مكر المنافقين والكافرين .

ويوفقنا للعمل بالقرآن الكريم ، وبسنة رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين ، والحمد لله رب العالمين .

غـرة صفر ١٤٢٠هـ
الموافق ١٩٩٩/٥/١٧م

عبد المهدى

ثانياً : الرد على لواء متقاعد محمد شبل

يعترض اللواء محمد شبل على أن يجتمع الحجيج يوم عرفة على جبل عرفة ، ويذهب إلى أنه يوزع الحج على أشهر يسميها أحياناً « أشهر معلومات » وأحياناً « الأشهر الحرم » ويستدل على ذلك بقول الله تعالى ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ .

ونسى قول الله تعالى : ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر** ﴾ .

ونسى قول الله تعالى : ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات** ﴾ أيام معينة محددة .

نسى أو تناسى الكثير من الآيات التى تعارض غرضه .

أما الأحاديث فلم يعرها اهتماماً ، ولقد سبقت له مقالات فى إنكار السنة بأسرها .

أما أقوال الأئمة فلقد ادعى عليهم كما يحب ، وأخذ من كلامهم ما ادعى أنه يؤكد رأيه ، وليس كذلك .

ومن كلام المعاصرين يأخذ ما يحب ويترك ما يتنافى مع غرضه .

وهذا إجمال يعقبه التفصيل بمشيئة الله تعالى .

قرأت فى بعض صحف هذه الأيام كلاماً يدعى كاتبه (وهو لواء متقاعد) أن الحج جائز خلال الأشهر الحرم ، وأنه ليس بشرط أن يكون فى التاسع من

ذى الحجة واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ .

وفى هذا الكلام عدة أخطاء أبينها للمسلم :

أولاً : قال الكاتب : إن الله تعالى قال فى القرآن الكريم : ﴿ **الحج أشهر** ﴾ ولا يمكن أن يوحى إلى النبى أن يكون « الحج أيام » .

أقول له : هذا خطأ من حيث إن الله قال : ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر** ﴾ فهناك يوم محدد للحج ، وقد أنكر الكاتب أن يوحى إلى النبى ﷺ بأن يكون ﴿ **الحج أيام** ﴾ وهذه آية فيها ﴿ **يوم الحج** ﴾ فأفادت أن الحج له يوم محدد ، من أيام السنة ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر** ﴾ هذه الآية الكريمة فى مطلع سورة التوبة . إن يوم النحر هو يوم الحج الأكبر ، وهو يوم واحد فى السنة ، يجتمع المسلمون فيه ، ويؤدون شعائر هذا اليوم من رمى جمرة العقبة والطواف والسعى ، والذبح ، والحلق أو التقصير .

يقول عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - : إن رسول الله ﷺ وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فقال : أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم النحر قال : هذا يوم الحج الأكبر ؟ [أخرجه أبو داود ، وهو عند البخارى والترمذى وابن ماجه وأحمد ، متابعات وشواهد] ، وعليه فيوم النحر هو يوم الحج الأكبر ، ولا يصح أن يقال : إن هناك أياماً أخرى للحج خلال العام غيره .

ثانياً : يوهمنا الكاتب أن الحج يمكن أن يكون فى أى وقت من الأشهر الحرم ، ويقع من كل فرقة من المسلمين فى أى وقت من هذه الأشهر بينما يقول الله تعالى : ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من**

الهدى ﴾ [البقرة : ١٩٦] وهذا يدل على أن الحج له وقت محدد معلوم ، فمن أحرم بالعمرة والحج ، ثم اعتمر ، وتمتع بمعنى أحل من إحرامه إلى وقت الحج فعليه دم ، وما دام التمتع إلى الحج ، فهذا يدل على أن الحج له وقت محدد معلوم ألا وهو يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق .

ولو قلنا بهذا القول ، وأن الحج فى أى وقت من الأشهر الحرم ما أمكن فهم الآية ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** ﴾ .

ثالثاً : يريد الكاتب أن يوزع الحج على أيام الأشهر الحرم ، وأتساءل معه ، كيف يوزع الحج على الأشهر الحرم ، والله يقول : ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ﴾ [الحج : ٢٧ ، ٢٨] .

وواضح من الآية أن ذبح الهدى له « أيام » لا « شهور » وهذه الأيام معلومات يعلمها رسول الله ﷺ ، وعلمها الصحابة وتناقلتها الأمة جيلاً عن جيل .

إنه على قولك بتوزيع الحج ، يصبح : يذكروا الله فى شهور !! بينما الآية « فى أيام معلومات » وبهذا يكون هذا القول مخالفاً للقرآن الكريم ، ومبتعداً عنه كثيراً .

﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ جزى الله خيراً فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وهو يقول فى تفسير هذه الآية : والمراد بكونها « معلومات » أنها مؤقتة بأوقات معينة ، لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها عنها .
« التفسير الوسيط للقرآن الكريم » ٥٥٩/١ .

رابعاً : يقول اللواء : إن الحج جائز خلال الأشهر الحرم !!وأتساءل من أين جئت بهذه الصفة للأشهر ؟ فقد قال الله ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ فمن أين جئت أنت بالأشهر الحرم ؟!

إن الأشهر الحرم هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، فكيف فسرت « الحج أشهر معلومات » بأنها الأشهر الحرم ؟

ترى هل « معلومات » تساوى « حرم » عندك ؟

أما نحن فنقرأ « الحج أشهر معلومات » بينها رسول الله ﷺ وبينها الصحابة وأنها شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ، وهذا البيان له فائدة عظيمة فى معرفة كثير من الأحكام ، بينها الفقهاء فى كتبهم .

خامساً : يقول الكاتب : إن الرسول لم يحج مرة ثانية فى نفس التوقيت حتى نتأكد أنه أمر توقيفى موحى به .

وهذا خطأ من عدة أوجه :

١ - فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفات ، الحج عرفات ، الحج عرفات ، أيام منى ثلاث فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه ، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج ».

لو كان الحج فى كل أيام الأشهر الحرم كما يدعى اللواء لما قال صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفات » ولما قال : « من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج » فإن اللواء يريد أن يجعل الوقوف فى أى يوم من الأشهر الحرم فلم يفوت الحج من لم يقف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة ؟

إن هذا الحديث الصحيح والذى أخرجه الترمذى وصححه ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وأخرجه أبو داود فى سننه وأخرجه النسائى وابن ماجه والدارمى وغيرهم هذا الحديث يبين أن أفعال الحج لها أيام معينة

فالوقوف بعرفة لابد أن يكون يوم عرفة ، ومن لم يتواجد على عرفات فى هذا اليوم فلا حج له ، وأيام منى ثلاثة يمكن أن يتعجل ويجعلها يومين ، ويمكن أن يتم ويجعلها ثلاثة بعد يوم النحر .

فإن كان رسول الله ﷺ لم يحج مرة ثانية ، فإنه قد بيّن مواقيت الحج بكل دقة .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ **واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى** ﴾ .
[البقرة : ٢٠٣]

فى هذه الآية بيان أن مناسك الحج لها أوقاتها المحددة ، وأن أيام منى يومان لمن تعجل ، وثلاثة لمن تأخر ، كما فى الحديث المتقدم .

فإذا كان القرآن يحدد فكيف باللواء يريد أن لا يحدد ؟

٣ - قال رسول الله ﷺ : « ما رؤى الشيطان يوماً ، هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام » [أخرجه مالك فى الموطأ ٤٢٢/١] إن عرفة يوم محدد من أيام العام ، معلوم للأمة كلها ، يقف فيه الحجاج بعرفات ، فهل يريد اللواء أن يقف الناس فى رجب ، وفى ذى القعدة والحجة والمحرم ؟

لقد حدد النبى ﷺ أيام الحج ، وأن الحج أهم شعائره الوقوف بعرفة ، وعرفة يوم واحد فى السنة ، معلوم أنه يوم التاسع من ذى الحجة .

٤ - قال رسول الله ﷺ : « صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله ، والسنة التى بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله » [أخرجه مسلم ٢٢٦/٣] .

وأنا أذكر هذا الحديث أستدل به على أن يوم عرفة يوم معلوم وهو التاسع من ذى الحجة ، كما أن يوم عاشوراء يوم معلوم وهو العاشر من محرم ، ولما كان الحج عرفة ، فمعناه أن الحج مرة واحدة فى العام لكل من أراد أن يحج ، وعلى كل حاج أن يتواجد بأرض عرفة يوم التاسع من ذى الحجة ، فمن أنكر ذلك فقد أنكر البدهيات .

٥ - نهى النبى ﷺ عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى . ويوم الفطر هو أول شهر شوال ، بعد صيام رمضان . ويوم الأضحى العاشر من ذى الحجة بعد الوقوف بعرفة ، فحدد هذا أن الحج إنما يكون فى التاسع من ذى الحجة والعاشر ، ولا يصح أن يُقال : إن الحج لم يحدد .

كما لا يصح أن يُقال إنه فى الأشهر الحرم عموماً وإلا لكان يوم عرفة متعدداً ، وهذا لا يصح ، فإن النصوص تفيده بصراحة ، وأنه التاسع من ذى الحجة لجميع المسلمين .

٦ - اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمرات فى ذى القعدة ، واحدة فى زمن الحديبية سنة ست من الهجرة ، وصُدُّوا فيها ، فتحللوا وحسبت لهم عمرة . والثانية فى ذى القعدة وهى سنة سبع ، وهى عمرة القضاء ، والثالثة فى ذى القعدة سنة ثمان ، وهى عام الفتح .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجته ، عمرة من الحديبية ، أو زمن الحديبية ، فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة ، وعمرة مع حجته » .
[أخرجه مسلم ٣٩٠/٣]

وأتساءل مع اللواء : لماذا اعتمر فى ذى القعدة ، ولم يحج ، مع أن الحج أفضل من العمرة ؟

إن ذا القعدة من الأشهر الحرم التى تدعى أنها كلها أشهر حج ، فلم لم يحج ، والحج أفضل من العمرة ؟

بدهى لأن الوقت ليس وقت حج ، فالحج لابد فيه من الوقوف بعرفة .

٧ - قدم رسول الله ﷺ مكة حاجاً مع أصحابه ، وذلك فى شهر ذى الحجة ، فأمرهم أن يجعلوها عمرة ويتحللوا من إحرامهم ، فلما كان يوم التروية الثامن من ذى الحجة أمرهم بالإحرام بالحج ، والبدء فى شعائره .

فعن أبى سعيد الخدرى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ نصرخ بالحج صراخاً ، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نجعلها عمرة إلا من ساق الهَدْى ، فلما كان يوم التروية ورحنا إلى منى أهللنا بالحج » [أخرجه مسلم ٣٨٨/٣] .

لو كان الحج جائزاً فى أى وقت من ذى الحجة لأتموا حجهم ، لكنهم جعلوها عمرة ، وخرجوا من الإحرام ، فلما كان يوم التروية الثامن من ذى الحجة أحرموا بالحج ، وحجوا ، مما يدل على أن الحج له أيامه المعينة ، وليس فى أى وقت من الأشهر الحرم أو غيرها .

٨ - لم يغب عن رسول الله ﷺ فى حجته أن يضع الأمور فى نصابها ، وأن يوسع على الأمة ، فبين أنه لا يصح أن يتمسك الناس بالمكان الذى وقف فيه فى عرفات ، بل كل عرفات موقف ، وبيَّن أنه لا يصح أن يتمسك الناس بالمكان الذى نحر فيه من منى ، وأن منى كلها منحر ، فلو كان الزمان كذلك لبينه ونَصّ على أنه يمكن أن يحرم الإنسان بالحج فى أى وقت ، ويمكن أن يقف بعرفات فى أى يوم ، لكنه لم يبين ذلك ، وإنما نص على

عكس ذلك ، وبين أن الحج عرفة ، وأنه لا يصح الحج لمن لم يقف بعرفة ، كما فى الحديث الذى سبق أن ذكرته : « الحج عرفات » .

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « نحرت ههنا ومنى كلها منحر ، فانحروا فى رحالكم ، ووقفت ههنا ، وعرفة كلها موقف ، ووقفت ههنا وجَمْع كلها موقف » [أخرجه مسلم ٣٥٥/٣] و « جَمْع » هى مزدلفة ، وهى أيضاً المشعر الحرام .

إن المكان الذى وقف فيه رسول الله ﷺ بعرفات معلوم ، إلا أنه وسع على الأمة ، وبيّن أن نقف فى أى مكان من عرفات ، وكذلك الذبح فى منى ، وكذلك مكان مبيته فى مزدلفة معلوم لكنه وسع على الأمة ، وبيّن أن مزدلفة كلها مبيت ، فلو كان الحج بحيث يمكن التوسع فى وقته لبين لنا ﷺ ذلك كما بين فى توسعة أماكن الشعائر . لكنا وجدنا عكس ذلك فلم يبين توسعة الزمان ، وإنما بين أن أزمنة الحج محددة كما فى النقاط التالية .

٩ - فى حجة الوداع كان الزحام شديداً ، ومع ذلك كان التوقيت للشعائر دقيقاً وحازماً ، فوقف ﷺ بعرفة يوم تاسع ذى الحجة ، وأفاض بعد المغرب بفترة ، ولم يفض أحد قبل ذلك ، ولم يقف أحد فى يوم آخر ، وأفاض الحجيج كلهم من عرفات إلى مزدلفة ، ولم يتحرك أحد من عرفات إلا بعد غروب الشمس . مما يدل على أن التوقيت محدد ، ولازم .

وفى كثير من الروايات أن رسول الله ﷺ كان ينادى الناس : « السكينة أيها الناس ، السكينة أيها الناس » [أخرجه أبو داود ٣٨٠/٥] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دفع مع النبى ﷺ يوم عرفة فسمع النبى ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل ، فأشار بسوطه إليهم

وقال : «أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع» [أخرجه البخارى ٥٢٢/٣] وفسر البخارى الإيضاع بالإسراع ، والمعنى : إن العبادة ليست بالإسراع .

والنصوص فى هذه كثيرة ، وكلها تفيد كثرة الناس وازدحامهم ، مما يدل على أن شعائر الحج موقتة بأوقات معينة ، لا يحل التقدم أو التأخر .

وهكذا تفيد النصوص من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية أن الحج عبادة لها مواقيتها الزمانية والمكانية ، فوقت الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ، يجوز أن يحرم المسلم بالحج فى أى وقت من هذه الأوقات على أن يكون من الميقات ، ولابد من الوقوف بعرفة يوم عرفة التاسع من ذى الحجة ، ومن المبيت بمزدلفة ليلة النحر ، ويرمى جمرة العقبة صبح يوم النحر ، ويبيت بمنى أيام التشريق (١١ ، ١٢) من ذى الحجة يرمى الجمرات نهاراً ، ويبيت بها ليلاً ، ويجوز أن يبقى اليوم الثالث عشر يبيت ليلته ، ويرمى الجمرات بعد الظهر ثم ينصرف . أما الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة فهما من الشعائر واسعة الوقت ، فيطوف طواف الركن بدءا من صبح يوم النحر - يوم العيد - إلى آخر ذى الحجة .

والآيات فى ذلك قد سقت بعضاً منها ، والأحاديث قد سقت بعضا منها ، ولقد أكثرت من النصوص ، وكان نص واحد كافياً لإبطال كلام اللواء ، لكنى لم أقصد الرد عليه فقط ، وإنما أردت أن أوضح الأمر للقارئ .

● وأضيف نصوصاً صحيحة فى أن من لم يدرك يوم عرفة فلا حج له ، فعن عبد الرحمن بن يعمر الديلمى قال : «أتيت النبى ﷺ وهو بعرفة فجاء ناس أو نفر من أهل نجد ، فأمروا رجلاً فنادى رسول الله ﷺ كيف الحج ؟ فأمر رجلاً فنادى : الحج يوم عرفة من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع

– مزدلفة – فتم حجه » [أخرجه أبو داود ٤٢٥/٥ ، وابن حبان فى صحيحه ٢٠٣/٩ وهو حديث صحيح وأخرجه الترمذى ٦٣٣/٣ وقال : والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم أنه من لم يقف بعرفات قبل طلوع الفجر – فجر يوم العيد – فقد فاته الحج ، ولا يجزئ عنه إن جاء بعد طلوع الفجر ، وعليه الحج من قابل .

● وعن عروة بن مضرس قال : أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت : يا رسول الله ، إنى جئت من جبل طئ أكللت راحلتى وأتعبت نفسى ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه ، فهل لى من حج ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من شهد صلاتنا هذه – بمزدلفة – ووقف معنا حتى يدفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً ، فقد تم حجه ، وقضى تفثه » [أخرجه الترمذى ٦٣٥/٣ وقال حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود ٤٢٧/٥] .

ومن هذين الحديثين يتضح أن الوقوف بعرفة إنما هو يوم عرفة وليلة مزدلفة ، ومن جاء متأخراً عن هذا فلا حج له ، مما يدل على أن الحج ليس على إطلاقه ، يقع فى أى فترة من الأشهر الحرم .

إن الحج بعض شعائره مؤقتة بزمن معين ، لابد أن تقع فيه ليصح الحج .

وبعد أن بينت أن كلام اللواء قد خالف القرآن الكريم مخالفة صريحة . وقد خالف السُّنة النبوية مخالفة واضحة ، وأطلت فى ذلك حرصاً على البيان الذى أخذه الله على العلماء وعلى القراء ، والذى أظن أن الكثيرين منهم لن يعيروا كلاماً مثل هذا أى اهتمام ، فهم مع القرآن والسنة ، ومع ما سارت عليه الأمة خلال الألف وأربعمائة عام . لن يصرفهم عن دين الله صارف .

بعد ذلك استطرد سريعاً فى كلام اللواء مناقشاً :
يقول اللواء : إن وقت الحج مختلف عليه !!

وهذا محض ادعاء لا دليل عليه ، وحينما ساق كلام بعض المفسرين مستدلاً به ، فهو أحد احتمالين : إما أنه لم يتعود أسلوب الأئمة ، وإما أنه يهزأ بعقلية القارئ .

فينقل عن كتاب «المنتخب» من التفاسير للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث** ﴾ أى فرض على نفسه الحج فى هذه الأشهر ودخل فيه فليراع آدابه .

أى اختلاف هنا ؟ هل هذا الكلام يفيد أن وقت الحج مختلف فيه ؟ بدهى لا ، لكنى لا أعرف كيف يفهم أن هذا يفيد الاختلاف فى وقت الحج .

وينقل عن ابن كثير فى تفسير ﴿ **فمن فرض فيهن الحج** ﴾ يقول اللواء نقلاً عن ابن كثير فيه دلالة على لزوم الإحرام بالحج والمضى فيه .

ثم يقول اللواء : لاحظ والمضى فيه .

وأتساءل : هل كلام ابن كثير هذا يفيد أن وقت الحج مختلف فيه ؟ مع أنك حذفت من كلام ابن كثير .

ونص كلامه : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج** ﴾ أى أوجب بإحرامه حجاً . فيه دلالة على لزوم الإحرام بالحج والمضى فيه .

إن ابن كثير يفسر الآية ، وأن فرض بمعنى أوجب ، فمن أحرم بالحج فقد وجب عليه ، فعليه أن يتمه . وهذا شأن العبادات ، من بدأ فى شىء منها فقد لزمه .

فأين الاختلاف ؟

وينقل عن البيضاوى قوله : إن ثمة خلافاً على أن الأشهر هى وقت للإحرام ، أو وقت لأعمال الحج ومناسكه .

وأتساءل : أين الاختلاف على أوقات الحج فى كلام البيضاوى ؟

إن الإمام يفسر الآية فإذا قلنا : الحج أشهر معلومات أى الأشهر المعلومات للحج كله ، فلا يصح أن يحرم أهل البلاد البعيدة قبل هذه الأشهر ، فإذا خرجوا من بلادهم قبلها فلا يحرموا إلا فيها ، ومن الميقات .

أما إذا قلنا الأشهر المعلومات لأعمال الحج ، فيجوز الإحرام قبل هذه الأشهر ، ولا اختلاف مطلقاً على وقت الحج .

وواضح مما سقته بطلان كلام اللواء ، وبخاصة قوله : أما الحديث عن الدين فهو واجب على المثقفين جميعاً ، واستدل على ذلك بكلام الدكتور / عبد الصبور مرزوق : الإسلام مجال مفتوح لكل قائل ما دام يملك أدوات القول . انتهى .

أقول للواء : هل كلام الدكتور عبد الصبور يفتح الباب لكل المثقفين؟ لا ، تأمل كل كلماته ، لقد اكتفيت بأول الكلام وتركت قوله « مادام يملك أدوات القول » فهل معك أدوات القول ؟ لو كانت معك ما وقعت هذه الأخطاء .

المثقفون يقرءون فى كتب الإسلام ، لكنهم يقرءون بفكر محايد لا يفرض فرضاً مسبقاً ، أما أنت ، فلقد قرأت لك قبل ذلك .

فلم أنس مقالاتك فى مجلة أكتوبر العدد ١٠٩٨ الأحد ١١/٩/

١٩٩٧م والعدد ١٠٩٩ الأحد ١١/١٦/ ١٩٩٧م ، وفيها تنكر حديث رسول الله كله .

وتنكر المعجزات الحسية الثابتة له ﷺ ، وتنعى على المفسرين .

إننى أرى بأنك تستعمل القرآن وفقاً لأغراض مسبقة ، ولست من أهل الدراية باللفظ والمعنى فى القرآن ، ومن هنا فلا أستغرب ما تقوله الآن من تضييع فريضة الحج .

من حق كل مثقف أن يقرأ ، لكن يقرأ ليتعلم ، أما الذى يكلم الأمة يريد أن يعلمها فلابد أن يكون من أهل الاختصاص .

ولست بخائف على المثقفين من منكرى السُّنة النبوية الرامين لهدم الإسلام ، فلن يقبل كلامهم إلا من فى قلبه مرض ، أما أصحاب القلوب السليمة فهم مع القرآن الكريم ، والقرآن الكريم يدلهم على السُّنة النبوية ، فيعملون بالقرآن والسُّنة ، ويفهمونهما فى ضوء فهوم الأئمة الذين جمعوا العلوم المؤهلة للكلام فى علوم الإسلام من :

دراية باللغة العربية .
ومن حفظ القرآن الكريم ..
ومن معرفة معانيه ..
ومن معرفة أحاديث الرسول ﷺ ..
ومن معرفة علوم الدراية بأحاديث رسول الله ﷺ ..
ومن معرفة أصول الفقه الإسلامى ..
ومن معرفة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى ..

إن أئمة الإسلام جمعوا من العلوم ما يؤهلهم لاستنباط الأحكام

الفقهية ، ويؤهلهم لتفسير القرآن الكريم ، ويؤهلهم لمعرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأحال القرآن الكريم عليهم ولم يجعل الأمر لكل من أراد الخوض فى القرآن ، ألم يقل الله : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ [النساء : ٨٣]

إن القرآن الكريم كلفنا برد الأمور إلى المتخصصين فيها ، وكل من يعرف قدر نفسه لا يتدخل فى غير تخصصه .

وختاماً : فإنى أسأل الله أن يلهم المثقفين رشدهم ، فلا يتكلمون إلا فيما درسوه دراسة تؤهلهم للكلام فيه .

وأسال الله أن يلهم المسلمين رشدهم ، فلا يقرءون إلا لمن ثبتت أهليته ، وقبلت الأمة علمه .

أما حَمْلة البعض على الإسلام ، وتهجمهم على القرآن والسُّنة ، فإنى أنصحهم بالتوبة ، قبل فوات الأوان ، وشرهم لن يضير الأمة ، والله قد قال : ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ [التوبة : ٣٢ ، ٣٣] .

* * *

وما هم بخارجين من النار :

القرآن ينفى إمكانية خروج من يدخل النار فى الكثير والعديد من آياته ﴿**يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم**﴾ [المائدة : ٣٧] .

ويقول أهل النار فى سورة المؤمنون : ﴿**ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾ [المؤمنون : ١٠٧] .

ويقول فى سورة البقرة : ﴿**كذلك يريد الله أعمالهم حسرات وما هم بخارجين من النار**﴾ [البقرة : ١٦٧] .

ويقول الله لمحمد عليه الصلاة والسلام فى سورة الزمر : ﴿**أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار**﴾ [الزمر : ١٩] (والكلام لرسول الله ﷺ مباشرة فى استفهام استنكارى) والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام .

وهذه الثوابت القرآنية تتناقض تماماً مع مرويات الأحاديث النبوية فى كتب السيرة عن إخراجه لمن يشاء من أمته من النار مما يؤكد أن هذه الأحاديث موضوعة ولا أساس لها من الصحة ، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى ﷺ .

بل إن درجات النار وأقسامها قد تحددت سلفاً فى القرآن ومواقع المجرمين قد علمت مسبقاً : ﴿**وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم**﴾ [الحجرات : ٤٣ ، ٤٤] .

فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل فى النار .

واختصت به واختص بها . وهذا يؤكد أن كل ما ذكر عن إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة يناقض صريح القرآن ولا يمكن أن يكون له أساس من الصحة .

وشفاعة الملائكة للبعض فى القرآن لا تأتى أبداً سابقة للحكم الإلهى بل تأتى بعده ﴿ **لا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ فالحكم الإلهى بالعفو يأتى أولاً ، وتكون شفاعة الملائكة أشبه بالبشارة .. حينما تعلم الملائكة أن الله قد ارتضى تبرئة فلان فإنها تبشره ، فالمقام الإلهى مقام جليل مرهوب .. وفى الحضرة الإلهية لا يملك أحد أن يسبق الله بكلمة أو رأى ﴿ **لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ [الأنبياء : ٢٧] .

وفى سورة النبأ الآية ٣٨ يقول القرآن عن الملائكة : ﴿ **لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا** ﴾ ، ﴿ **وكم من ملك فى السموات والأرض لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ .

ومعنى ذلك أن شفاعة الملائكة لا تأتى إلا بعد الإذن وبعد العلم بأن الله قد عفا عن فلان .. فهى بشارة وليست شفاعة وهى أقرب إلى التهنئة بالنجاة .

والقانون العام فى ذلك اليوم .. يوم الدين .. يوم تدان الأنفس بما عملت أنه لا شفاعة تجدى ولا شفاعة تقبل .. لأنه لا أحد يملك هذه الشفاعة .. فلله الشفاعة جميعاً .. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار .. لا أحد غيره .. ولا كلمة إلى جوار كلمته .

﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله** ﴾ لا تملك أى نفس لأى نفس .. مهما علا مقام هذه النفس التى تشفع ومهما بلغت درجتها .. لا تملك من أمر الله شيئاً .

ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب فى كلمات قليلة ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ فجمعية الأمر والنهى فى يده وحده .. هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها فى يده فهو وحده صاحب العلم المحيط وهو وحده أرحم الراحمين ولا يستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله أو أعلم بهم منه .

فهو وحده عالم الغيب والشهادة .. وهو وحده الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيط أى منهم بعلمه إلا بما يشاء .. وهو وحده الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير .

﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً** ﴾ .

والجزاء فى هذا اليوم على قدر العمل والعفو ، والصفح حق لله تعالى وحده فلله الشفاعة جميعاً لا يشاركه فى هذا الحق مخلوق ..

وإذا كان الهدف من شفاعة الشفعاء هو إضافة معلوم عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم من أى مخلوق .. يقول القرآن : ﴿ **إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم** ﴾ فمن منكم عنده مثل هذا العلم الإحاطى لينافس رب العالمين فى هذا المقام .. لا أحد قطعاً .. والله وحده هو الجدير به .. ولهذا تخلص الشفاعة له وحده فى جمعية تنفى تدخل أحد .. ولا يملك الكل إلا أن

ينتظر ما تنطق به المشيئة وتبقى بعض حالات مفوض أمر أصحابها فى الآخرة إلى الله عز وجل وحده مثل ما جاء فى الآيات :

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى اللَّه أن يتوب عليهم إن اللَّه غفور رحيم ﴾ .

﴿ وآخرون مرجون لأمر اللَّه إما يعذبهم وإما يتوب عليهم واللَّه عليم حكيم ﴾ .

ومنهم المستضعفون فى الأرض يقال لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم .

إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً .

فهو وحده الذى يتكرم بهذا العفو .. وهو معنى الآية : **﴿ فللَّه الشفاعة جميعاً ﴾** .

ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو ؟ ومن يكون الموعود به فى القرآن ؟ ومن كان المخاطب بهذه الآيات من سورة الإسراء ؟

﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا * أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء : ٧٦] .

والمخاطب هو محمد عليه الصلاة والسلام وحده لا سواه بلا شك .

والمقام هو مقام البشارة العظمى والله أعلم وليس مقام الشفاعة العظمى كما يذكر المفسرون وذلك لأن جمعية الشفاعة كلها لله وحده كما ذكر القرآن وكرر فى محكم آياته وأنه لا أحد أعلم بخلقه منه ولا أرحم منه .. فهو أرحم الراحمين وليس لله منافس فى هذا ولا يجوز أن يكون له منافس فى هذا المقام .. والأقرب أن يكون هذا المقام المحمدى هو مقام « البشير الأعظم » .. ويؤكد ذلك القرآن مكرراً فى آياته أنه هو الذى أرسل رسوله للعالمين نذيراً وبشيراً .. وبحكم القرب من الله سيكون أول من يعلم بالعفو عن السعداء من أمته وسيكون أول من يبشرهم بالجنة والرضوان .. أقول ذلك اجتهاداً والله أعلم فالموضوع غيب .. ويوم الدين بأهواله .. وبما سيجرى فيه هو غيب الغيب ولا يملك قارئ القرآن إلا أن يحاول الفهم دون المساس بالثوابت القرآنية .. وخصوصية المقام لمحمد من الثوابت التى لا شك فيها .. كما أن خصوصية الشفاعة لله وحده وأن جمعية الشفاعة ينفرد بها الله وحده ، هى ثابت مطلق آخر من ثوابت القرآن لا مرية فيه .

وعلينا أن نفهم الشفاعة فى هذه الحدود ، والقرآن هو الكتاب الوحيد الذن تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أى تحريف وقال فى كتابه المحكم : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .. ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخارى أو غيره من كتب السيرة .. وما يقوله البخارى مناقض للقرآن لا يلزمنا فى شىء .. ويسأل عنه البخارى يوم الحساب ولا نسأل نحن فيه .

ولم يكن البخارى رضى الله عنه وأرضاه هو الوحيد الذى خاض فى موضع السيرة النبوية لكن كُتاب السيرة كثيرون وقد تناقضوا واختلفوا بين بعضهم البعض .. وامتلأت كتب السيرة بالموضوع والمدسوس من

الأحاديث والعجيب والمنكر من الإسرائيليات .

وقرأنا فى أكثر من كتاب من كُتب السيرة أن النبى عليه الصلاة والسلام مات ودرعه مرهونة عند يهودى ، وهو كذب وافتراء لا يعقل فقد مات سيدنا رسول الله ﷺ والغنائم وخيرات البلاد المفتوحة تجبى من كل مكان وللرسول ولفقراء المسلمين نصيب فيها وله الخمس بحكم القرآن .

والقرآن يقول لرسوله : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيماً فأوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ الله يقول بأنه أغنى رسوله .. فما حكاية هذه الدرع المرهونة عند يهودى إلا أن تكون إسرائيليات مدسوسة .. وغيرها الكثير .. فلا أقل من أن نحتكم إلى العمدة فى أمور ديننا حتى لا تنفرط وحدتنا وحتى لا نتفرق بددا .

والعمدة المعتمد فى جميع أمور الملة هو القرآن المجيد نتمسك به ونحتكم إليه فى كل صغيرة وكبيرة .. وما تناقض فى كتب السيرة مع القرآن لا نأخذ به ، فالذين كتبوا السيرة بشر مثلنا يخطئون ويصيبون .. أما القرآن فهو الكتاب المحفوظ من رب العالمين وهو الكتاب الوحيد الموثق بين كل ما تبقى من كتب مقدسة بين أيدينا وهو المهيمن عليها جميعاً بلا استثناء .

ألم يقل ربنا تبارك وتعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام فى سورة آل عمران الآية ١٢٨ ﴿ **ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ فكيف نقلب الأمر ونجعل من النبى صاحب الأمر يوم القيامة والمنفرد بالشفاعة من دون الله .. وهو الذى قال له معاتباً .. ليس لك من الأمر شىء .

وحينما جاء البلاغ للنبى فى سورة الشعراء ﴿ **وأنذر عشيرتك**

الأقربين ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ألم يبادر النبى فينادى على أهل بيته يا خديجة إنى لن أغنى عنك من الله شيئاً .. يا عائشة إنى لن أغنى عنك من الله شيئاً .. يا فلان يا فلان .. ولم يدع أحداً من أهل بيته إلا أبلغه .

وهذا كلام السيرة وكلام كتاب السيرة أنفسهم أن النبى ﷺ قد أخلى مسئوليته وتبرأ من الوساطة لأحد حتى لأعز الناس .. حتى لابنته الغالية ومهجة قلبه فاطمة .. فكيف انقلبوا بعد ذلك على أنفسهم ؟ وكيف نكسوا على رؤوسهم وجعلوا من النبى ﷺ وسيطاً يتشفع عند الله ليخرج من النار بعض من دخلها من أمته .. فيخرجهم ربنا من النار وقد امتحشوا من أثر جهنم أى تفحموا .

وكيف يقبل هذا الكلام ويوضع فى كفة واحدة من كلام الله المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وكيف نقلب موازين العدالة فى ذلك اليوم الذى تشيب لهوله الولدان ونحولها إلى وساطات وشفاعات وتزكيات ، ونجعل من أنفسنا صفوة الأمم وخيرها على الإطلاق .

ولقد قال ربنا .. كنتم خير أمة أخرجت للناس .. « كنتم » فعل ماضى فجعلنا هذه الخيرية صفة مطلقة ثم جعلنا من أنفسنا المالكين ليوم الدين فجعلنا الله أذل الأمم وأضعفها وأضيعها وأفقرها وأقلها شأناً .

ونرجو أن نبدل من أحوالنا ليبدل الله من أقدارنا ، وأن نتوب عن ذنوبنا ليتوب علينا .. إنه سبحانه نعم التواب .

* * *

مقالة اللواء متقاعد محمد شبل

الاجتهاد فى الدين ليس حكراً على «المشايخ» ..

الحج جائز خلال الأشهر الحـرم .. وهذه أدلتى :

لقد عمرت عقيدتى فى العدد ٣٣٢ الصادر فى ٦ من أبريل ١٩٩٩م بردود عدة على ما جاء برسالتنا إلى الأستاذ «صلاح منتصر» والتى نشرها بزاويته «مجرد راى» بالأهرام حول آية «الحج أشهر معلومات» .. ومن هذه الردود ما كان فى الموضوع ، ومنها ما كان خارجه ، ومنها ما كان عصبياً منفلتاً .

وأبعث إليكم بهذا التعقيب حتى يستوفى الموضوع حقه من الاهتمام ، وحتى تكمل الجريدة واجبها فى بحثه ، باعتبارها على قمة وسائل الإعلام الدينى .

قيل : إن ما جاء برأينا فى أن تكون مناسك الحج فى أشهر معلومات يعارض أمراً معلوماً من الدين بالضرورة .

ونقول : نحن لم نعارض أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ، ولكننا أكدناه أو ليست آيات القرآن المحكمات من المعلوم من الدين بالضرورة ؟ إن ما فعلناه ليس إلا تأكيداً وتذكيراً بالآية القرآنية المحكمة : ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ وسيرد تفصيل ذلك بعد قليل .

قيل : إن السُّنة النبوية وإجماع الصحابة والتابعين وجميع العلماء والفقهاء جاء على أن يوم عرفة هو إجماع على الزمان والمكان .

ونوضح رأينا فيما يلى :

ورد بالقرآن أن الحج أشهر معلومات .. ورد بالسيرة أن النبى ﷺ حج فى أيام من ذى الحجة ووقف بعرفة يوم ٩ من ذى الحجة .

وحيث إن الرسول كان خلقه القرآن - كما قالت السيدة عائشة - فلابد أن قوله وفعله وتقريره لا يخرج عن القرآن .. لذلك يجب أن نفهم أن الأيام التى قام الرسول بالحج فيها كانت اختياراً للرسول فى حدود الأشهر المعلومات ، وكان يمكن أن يكون هناك اختيار آخر ، لكن الأمر لم يكن وحياً من الله ، لأن الله تعالى قال فى القرآن ﴿ **الحج أشهر** ﴾ ولا يمكن أن يوحى إلى النبى ﷺ بأن يكون « الحج أيام » .. كما أن الرسول لم يحج مرة ثانية فى نفس التوقيت حتى تتأكد أنه أمر توقيفى موحى به .

هذا عن فعل الرسول ﷺ ، بإجماع العلماء والفقهاء ، على أن يوم عرفة هو إجماع على الزمان والمكان .. فنقول :

أولاً : فى رأينا « الإجماع » غير ممكن الوقوع ، ولذلك أسانيد ليس هنا مجال سردها ، لكنا نقول - فى موضوعنا - إن وقت الحج مختلف عليه . فقال « البيضاوى » فى تفسيره : إن ثمة خلافاً على أن الأشهر هى وقت للإحرام ، أو وقت لأعمال الحج ومناسكه .

ونقول : إن من أخذ بالمعنى الواضح للآية القرآنية قال إن الأشهر هى وقت الأعمال والمناسك .. ومن اعتبر حج الرسول فى ذى الحجة أمراً موحى به قال إن الحج فى أيام ، لكن حتى لا يقع فى التعارض بين القرآن وفعل الرسول ﷺ قال : إن الأشهر هى « للإحرام » وليس « للحج » وبذلك ألغى آية : « الحج أشهر معلومات » وجعلوها : « الإحرام بالحج أشهر

معلومات » .. وتعبير الإحرام جديد ولم أجده فى القرآن كلية !!

أما ما جاء ببعض التفاسير حول هذه الآية ويؤيد وجهة نظرنا فهو كما جاء فى تفسير البيضاوى : « الحج أشهر » : أى وقته كقولك البرد شهران ويوجد خلاف على أن المراد بوقته « وقت إحرامه » أو « وقت أعماله ومنساكه » وفى تفسير « فمن فرض فيهن الحج » قال : إنها دليل على ما ذهب إليه الشافعى من أن من أحرم بالحج لزمه الإتمام » ا هـ .

وجاء فى تفسير « المنتخب » الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث** ﴾ أى فرض على نفسه الحج فى هذه الأشهر ودخل فيه فليراع آدابه » ا هـ .

وجاء فى تفسير « ابن كثير » : إن قوله : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث** ﴾ فيه دلالة على لزوم الإحرام بالحج والمضى يه « لاحظ والمضى فيه » .

قيل : هذه الدعوة أى الحج على مدى أشهر كمن يأتى فى هذا العصر ويقول : لنكتفى بصلاتين فقط فى اليوم ، واحدة فى الصباح والثانية فى المساء نظراً لانشغالنا .

ونقول : هذا المثل – فى رأينا – غير صحيح ، فنحن لم ننقص شيئاً من مناسك الحج .. وإذا أردتم المثل الصحيح .

فكان القرآن حدد لصلاة العصر وقتاً ممتداً من الساعة الرابعة إلى الساعة الثامنة ثم جاء النبى وصلى العصر الساعة الخامسة .

فجئنا نحن وصلينا العصر الساعة الخامسة كما فعل النبى .

وأغلفلنا المساحة الزمنية التى أعطاها لنا القرآن وهى أربع ساعات .

قيل : إن حكمة الوقوف بعرفة فى يوم واحد إنما تمثل مؤتمراً عالمياً عاماً للمسلمين ، ويعلمهم أنهم جميعاً عباد الله لا فرق بين غنى وفقير .

ونقول : إن امتداد الحج على مدى أشهر لن يؤثر على هذه الحكم والأغراض .

وقيل : إن هذه المدة التى هى ثلاثة أشهر تعطى الناس جميعاً من أقصى بلاد الدنيا الفرصة حتى يصلوا خلالها بوسائلهم الخاصة إلى الكعبة .

ونقول : إن الناس يصلون الآن من أقصى الأرض إلى الكعبة بالطائرة فى بضع ساعات . فهل تصبح آية « الحج أشهر » فى عصرنا ملغاة ؟ حاشا لله .

قالوا : يجب الابتعاد عن الإفتاء بغير علم والرجوع إلى المتخصصين فقد قال تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

ونقول : إنهم يستعملون هذه الآية دائماً لصد غير الأشياخ عن التحدث فى الدين .

ونقول : إن نص الآية هو : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [النحل : ٤٣] .

فالآية كما ترى لا تتصل بموضوع الاجتهاد ومن يتحدث فى الدين ومن لا يتحدث ، ولكن معناها هو : وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل إرسالك إلى أمتك أيها النبى إلا رجالاً نوحى إليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك .. فاسألوا أيها الكافرون أهل العلم بالكتب السماوية إن كنتم لا تعلمون ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعاً ، ما كانوا إلا رجالاً لا ملائكة [تفسير المنتخب] .

أما الحديث عن الدين فهو واجب على المثقفين جميعاً .

ويهمنا ذكر ما كتبه الدكتور عبدالصبور مرزوق فى جريدة اللواء

الإسلامى وهو : « أما أن يقال إن هناك طبقة تتميز باحتكار موضوعات معينة لا يتحدث فيها سواهم فهذا قطعاً جهل .. والإسلام ليس فيه كهنوت ولا كنيسة فهو مجال مفتوح لكل قائل ما دام يملك أدوات القول » ا هـ .

وهنا فمع أننا حضرنا برامج منظمة فى الدراسات الإسلامية إلا أننا اعتبرناه مفاتيح للمعرفة وتابعنا الدراسة الحرة .. ونقول دائماً : إن علوم الدين من العلوم الإنسانية التى يمكن لدارس مجتهد أن يلم بأطرافها ، فهى ليست علوماً طبيعية مثل الفيزياء والطب والهندسة – يصعب سير غورها على الدارس الفرد ، بل إن علوم الدين تجود برجيعتها لكل قارئ ينهل منها بتركيز وفهم ، وتمنح ثمرتها لكل دارس لها بتدبر ووعى .. ولقد أذكر فى هذا المجال العملاق « عباس العقاد » الذى استوعب جل علوم الدنيا ولم يلتحق بجامعة فؤاد الأول ، واستوعب جل علوم الدين ولم يلتحق بجامعة الأزهر ، وحين سئل عن أهم إنجاز له كان جوابه : إنى جعلت للفكر قيمة مستقلة عن الألقاب والبرامج الدراسية .

أما التعبيرات المنفلتة والألفاظ الهابطة فسنستغنى عنها ، إلا أنه يؤسفنا أن تصدر ممن يجب أن يكونوا قدوة فى أدب الحوار .

وفى النهاية أهتف بالشيخ – أى شيخ – لنعلم أنه ليس المهم : من يقول ؟ إنما المهم : ماذا يقول ؟ أى المهم المقولة لا القائل .. وليس لدينا مانع -والله – أن تخوض فى الاستراتيجية والتعبوى والتكتيك مع إنها علوم تتطلب التخصص فعلاً ، وسوف نقرأ لك ونرد عليك بموضوعية ، ولن ندخلك فى زمرة « من هب ودب » ولن نعترض عليك بحجة أنك تضع على كتفك العباءة ولا تضع علامات ونجوماً .

* * *

فهرس الكتاب

كتب للؤلف

١ - **تحقيق مسند على بن الجعد** - أحد شيوخ البخارى - نشرته مكتبة الفلاح بالكويت .

٢ - **السنة النبوية : مكانتها ، وعوامل بقائها ، تدوينها** ، طبع دار الاعتصام بمصر .

٣ - **طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ** - طبع دار الاعتصام .

٤- **طرق تخريج أقوال الصحابة والتابعين** - طبع المؤلف .

٥ - **المدخل إلى السنة النبوية** «بحوث فى القضايا الإسلامية عن السنة النبوية - طبع دار الاعتصام .

٦ - **علم الجرح والتعديل قواعده وأئمته** - طبع المؤلف .

٧- **السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة** - طبع نهضة مصر ، وطبع المؤلف .

٨ - **كيف نصوم رمضان** - طبع دار الاعتصام .

٩ - **الرد على منكرى السنة النبوية** (تحت الطبع) .

١ - **معجزات الرسول ﷺ التى فى زماننا** (تحت الطبع).

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٤١٦ / ٩٩

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١